أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

تروتسكي .. مرثية لأحلام الثورة

حظيت أعمال «إسحق دوتشر» عن حياة «تروتسكي» ، باهتمام جيلين: الجيل المعاصر له، والجيل الذي خلفه، وهي تعد ـ بحق ـ من أفضل الأعمال في مجال السيرة الذاتية. صدر المجلد الأول في عام ١٩٥٤، بعد وفاة «ستالين» بفترة قصيرة. وظهر المجلد الأخير في عام ١٩٦٣، وقت أن كان «الاتحاد السوفيتي» لا يزال يبدو قويا واثقًا، وكانت الآمال لا تزال قائمة (ليس عند اليسار فحسب) في إمكانية أن يأتي اليوم الذي تتخذ فيه إصلاحات تؤدي إلي تحقيق الرؤية السوفيتية للاشتراكية الديمقراطية.

8

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (1820) السنة السابعة
الاحد (13) حزيران 2010

لعنة النفط
عالم من الخفايا والاسرار

إيزابيل
تبوح حد الألم .. حد التعري

البقاء في عصر الإنترنيت

طبيبه الخاص يصدر كتاب (حليم وأنا)

من الملجأ إلى القبر

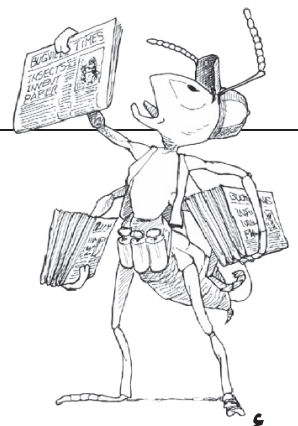

الصحافة و رأسمال السوق الحرة

كفاح المالكين والصحافيين للبقاء في عصر الإنترنيت

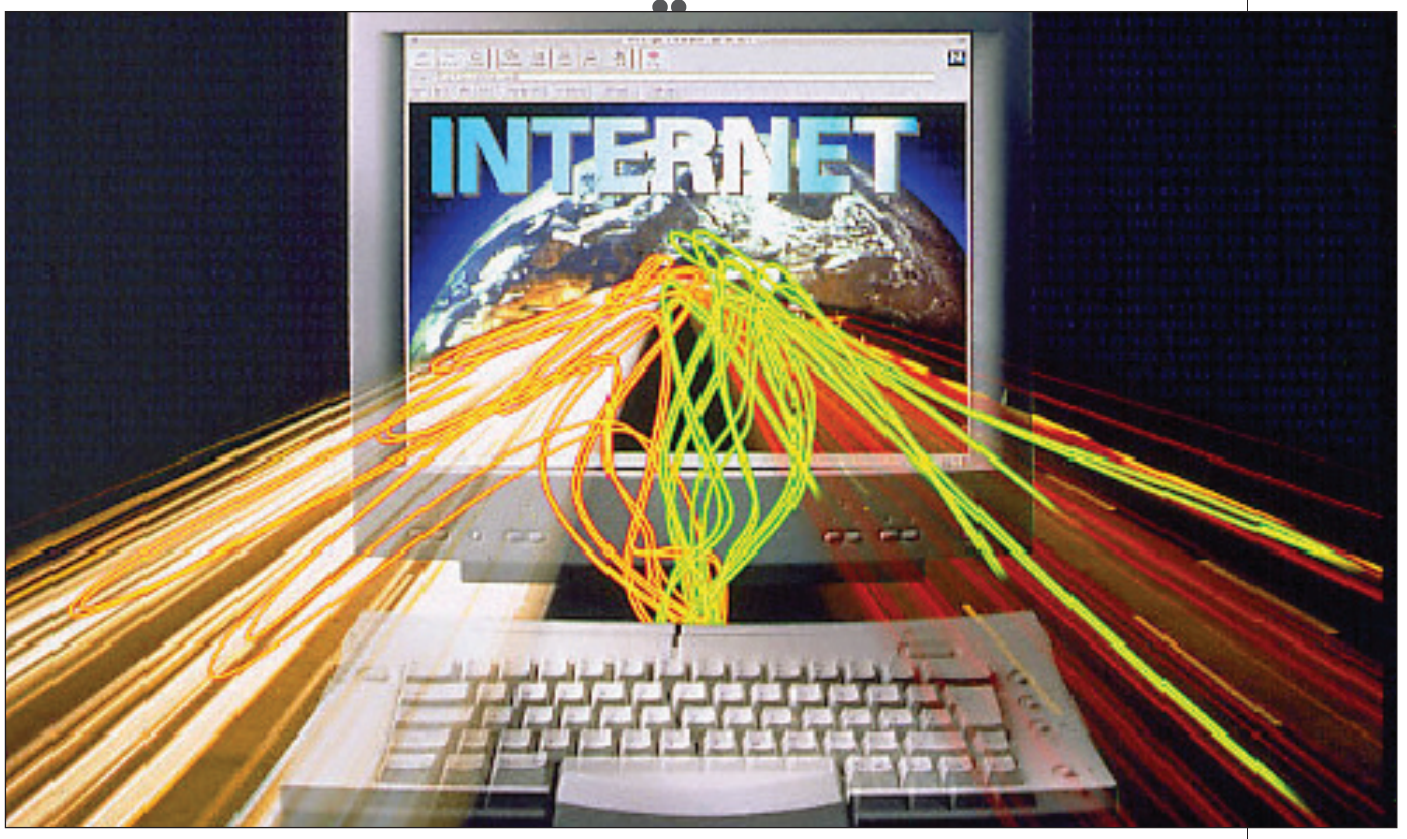

ترجمة / عادل العامل

الصحافة الأمريكية اليوم مصابة بالكآبة، كما يقول رَسِل بيكَر في مقاله هذا. فقد أكدت لها مرجعيات كثيرة جداً أن أيامها باتت معدودة ، و الكثير من الصحف الجيدة في حالة خراب . و قد فقدت الصحافة الكثير من احترام الرأي العام . فالمحاكم التي كانت فيماً مضى تعاملها كنمر نائم تهينها الآن بأوامر إحضار متغطرسة و تضع في الحبس المراسلين الذين يرفضون أن يلعبوا الكرة مع المدّعين العامّين . و قد أسيئت معاملتها بقسوة في الاذاعة ومواقع الإنترنيت . و يجري التنمّر عليها بيسر للاذعان لمخططات آلة الدعاية الرئاسية المصمّمة على الهيمنة على الأخبار .

و يتعرض الاعلان فيها و توزيعها للاستنزاف بفعل الانترنيت ، و يبدو أصحابها مصدومين بفشل التخيل المقاولاتي المطلوب للنجاح في العصر الألكتروني . و المعاينات الميدانية التي تظهر أن المزيد و المزيد من الشباب يحصلون على أخبارهم من التلفزيون و الكومبيوترات تتمخض عن إحساس كئيب بأن الصحافة شيء من الماضي ، عربة يجرها حصان على طريق بين عدة ولايات ذي ثمانية مجازات .

ثم هناك الإحراجات : فقد حوّل محتالون مثل جَيسون بلير و ستيفن غلاس مهنة الصحافة إلى مهزلة . وتم إرباك هيئة صحافة واشنطن النخبوية في مساعدة دائرة التستر المحافظ على خلق حرب العراق . فمن أصبح من الأبطال ؟ لقد اعتاد صحافيون تناول الغذاء خارجاً على مأثر بوب ودوارد و كارل برينستاين خلال ووترغيت ؛ ديفيد هالبيرستام ، نيل شيهان ، و مالكولم براون في فيتنام ؛ بنتش سالزبيرغر و كَي غراهام المخاطرين بكل شيء من أجل نشر أوراق

البنتاغون . و بدلاً من الأبطال ، فإن حديث طاولة اليوم هو حول احتيالات الصحافة و صحافة واشنطونية ضعيفة جداً للبقاء خارج لعبة الثلاث ورقات.

لقد نشر روبرت مَردوخ بالطبع الروح الانقباضية melancholy طويلاً في غرف الأخبار في مختلف أنحاء العالم ، و لكنه الكشف عن أن عائلة بانكروفت ، التي تسيطر على الوول ستريت جورنال ، يمكن أن تكون مستعدة لبيعه صحيفتهم مقابل خمسة بلايين دولار ، هو الذي أصاب في الواقع روح الصحافة . و بيع صحيفة أخرى أمر مألوف تماماً هذه الأيام ، غير أن الوول ستريت جورنال ليست صحيفة أخرى . إنها واحدة من أكثر ركائز الصحافة الأمريكية الباعثة على الفخر . فهي ، مثل النيو يورك تايمز و الواشنطون بوست ، ظلت لأجيال تحت إشراف رجال منحدرين من أب مؤسس .

إن السيطرة العائلية قد حمتْ الصحف الثلاث جميعاً من طلبات وول ستريت الأكثر إلحاحاً، تاركةً لها أن تنجز صحافة عالية النوعية-وعالية الكلفة . و قد قيل، و كان من المعتقد به على نطاق واسع ، إن العوائل المسيطرة مفعمة بالحيوية بفعل إحساس من المشاعر النبيلة بحيث أن صحفها كانت مؤسسات شبيهة بالرأي العام. و كان الربح بالطبع أساسياً لاستمرارها في البقاء، و لكنه لم يكن الغاية الأولية لوجودها . ذلك أن واحدة من هذه العوائل يمكن في الآخر أن تأخذ المال و تنصرف، أمر يصعّد المخاوف من عدم وجود صحيفة ذات قيمة عالية بالنسبة للجمهورية إلى الحد الذي لا يمكن معه طرحها في السوق بسعر مريح للنفس .

و مردوخ في (الجورنال) بشير قاتم للصحفيين في كل مكان . فحين تقول اللافتة في النافذة : "كل شيء للبيع" ، ففي الغالب تتبعها "سنتوقف عن العمل."

و هناك مادة متنامية حول مشكلات جمهرة الصحفيين، غير أن معظم المادة مرتبط بالجانب التحريري من العمل ، ربما لأن أغلب الأشخاص القادرين على الكتابة عن الصحافة غير مرتاحين للكتابة عن التمويل .

مع هذا، فعلى جانب الملكية ownership و الإدارة توجد أصعب المشكلات . و أفضل مناقشة للمتاعب في غرفة اجتماع مجلس الإدارة ومكتب إدارة الأعمال موجود في صفحات المال الخاصة بالصحف و كلمات صحافيين في وظائف الإدارة .

و هناك وثيقة تُقرأ على نطاق واسع وسط هيئة الصحيفة و هي كلمة سلّمها إلى الجمعية الأمريكية لمحرري الصحف قبل عام جون س. كارول ، المحرر السابق للوس أنجلس تايمز .

و هي تعبير بليغ عن قلق الكثير من المراسلين و المحررين الذين يشعرون به الآن بشأن المستقبل. و قد عنوَن كارول كلمته بـ "ما الذي سيحصل للصحف ؟ " و كما يوحي العنوان ، فإن تكهناته لم تكن سارة.

و لقد أذعره بوجه خاص تعطل التفاهم بين المالكين و الصحافيين العاملين و فقدان الغاية

هناك وثيقة تُقرأ على نطاق واسع وسط هيئة الصحيفة و هي كلمة سلّمها إلى الجمعية الأمريكية لمحرري الصحف قبل عام جون س. كارول ، المحرر السابق للوس أنجلس تايمز .

و هي تعبير بليغ عن قلق الكثير من المراسلين و المحررين الذين يشعرون به الآن بشأن المستقبل. و قد عنوَن كارول كلمته بـ "ما الذي سيحصل للصحف ؟ " و كما يوحي العنوان ، فإن تكهناته لم تكن سارة.

إن المالكين ذوي الأسلوب الجديد غالباً ما تصيبهم الحيرة حين يواجههم محرروهم و مراسلوهم بالحجة التقليدية بأن عمل الصحافة هو توفير خدمة عامة عن طريق تجهيز المعلومات التي يحتاجها المواطنون من أجل جعل الديموقراطية تقوم بعملها . فالمالكون الجدد لديهم وجهة نظر مختلفة بخصوص الواجب .

العامة التي وحّدتهم في ما مضى . و قد حدث هذا ، كما قال ، لأن الوظائف التي كانت تشكل بالأمس عالم الناشرين الأقوياء قد اضطلع بها مديرو مال وول ستريت .

و بدأ التعطل في القمة قبل أربعين عاماً تقريباً حين أخذ مالكو صحف محليون يبيعون صحفهم لمؤسسات تجارية.

و ما أن تغيرت طبيعة الأسواق، حتى تحولت القوة من المؤسسات التجارية إلى أموال الاستثمار ، الذي ينتج مالاً عن طريق استثمار مال أناس آخرين بطرق تجعله يتضاعف.

و أصبح من الصعب بعد ذاك القول مَن أو أية جهة هو مالك الصحيفة . و توقف المالكون عن أن يكونوا "بشراً قابلين للتعريف"، كما عبّر كارول . فالمالك الذي ، أحياناً ، كان له اسم في ما مضى ـ أوتيس تشاندلر لوس أنجلس تايمز، جون نايت صحف نايت رايدر، باري بانغهام كورييه جورنال في لويسفيل ـ أصبح شيئاً ما.

و أحياناً بدا الأمر و كأن غرفة مليئة بباحثي الأسواق يدورون العالم عن طريق الكومبيوتر من أجل فرص استثمار مربحة. وفي بعض الأحيان كان المالك مدير صندوق مال من دون أية خبرة و لا اهتمام بالصحافة.

و في هذه "المرحلة ما بعد المشتركة من الملكية"، قال كارول، لقد رأينا تقلصاً في الغاية من الصحيفة في نظر المالك . فتحتَ المالكين المحليين الفدامى، كانت قدرة الصحيفة على جلب المال جزءاً من قيمتها ليس إلاّ . أما اليوم فهي كل شيء. لقد ذهب ذلك المفهوم القائل بأن الصحيفة ينبغي أن تقود ، و بأن لديها التزام تجاه مجتمعها ، و بأنها مدينة بوجودها للرأي العام .

و في يوم ما ، عندما نلقي نظرة إلى وراء على هذه الأربعين عاماً ، أشك في أننا سنعجب كيف سمحنا للرأي العام تماماً بأن يكون تابعاً بهذه الشدة للكسب الخاص ...

فما الذي يريده المالكون الحاليون من صحفهم لا يمكن أن يكون الجواب أبسط : المال إن كارول مرجع في هذا الموضوع . فهو كمحرر لصحيفة لوس أنجلس تايمز ، كان المالك الذي يقدم تقاريره له هو شركة تربيون، وهي مؤسسة كبيرة من عدة شركات كانت قد تعاظمت من شيكاغو تربيون للكولونيل روبرت مَكارميك ، التي انتحلت لقب " أعظم صحيفة في العالم " .

و قبل أن يخمّن أحد أن ازدهار سوق البضائع في أواخر القرن العشرين كان فقاعة قيد الاعداد، كانت شركة تربيون قد اشترت صحفاً قديمة مشهورة هنا و هناك. و كان من بينها لوس أنجلس تايمز ، تم أصبحت محترمة على نطاق واسع باعتبارها واحدة من أرفع الصحف اليومية في أمريكا.

و كانت سمعتها قد بُنيت قبل جيل من وصول كارول عن طريق أوتيس تشاندلر ، و هو ناشر ديناميكي ميّال للانفاق على نحو واسع ، و أحياناً بشكل مسرف ، لينافس الأفضل في الصحافة .

و كان بوسعه أن يفعل ذلك لأنه بنتمي إلى العائلة التي كانت تمتلك الصحيفة . و هؤلاء كانوا سليلي هاري تشاندلر ١٨٦٤ ـ ١٩٤٤، من ملاّك العقارات الكالفورنيين الكبار ، و كان قد أقام تروستات لأطفاله في سنوات الكساد. و كانت عائلة قد تضاعفت بسرعة، و يُعتقد بأن تروستات تشاندلر كانت توفر المصدر الرئيس لدخل حوالي ١٧٠ من أخلاف هاري.

و كان العدد، في زمن أوتيس، أصغر، بالطبع، و مع أن كثيرين كانوا يستاءون من أسلوبه في تمشية الأمور و لامبالاته تجاه سياسة الجناح اليميني التقليدي للصحيفة، فإنه كان قادراً على أن تكون له طريقته مع التايمز طالما لم تكن أموال آل تشاندلر الآخرين معرضة للخطر. و مضى الوقت، و معه أوتيس، وقوضيَ ورثة تشاندلر، الذين لم يكونوا أبداً غلاظاً في ما يتعلق بالصحافة بأي شكل كان ، من قبل شركة تربيون . و تمت الصفقة في عام ٢٠٠٠ بشراء شركة تربيون للتايمز و مصدرها شركة تايمز ـ ميرر مقابل ٨ بليون دولار في المتناول و ثلاثة مقاعد في مجلس تربيون .

لقد ظلت شركة تايمز ـ ميرر نفسها تجمع صحفاً (نيوزدَي ، بالتيمور سَن ، و هارتفورد كورانت، من بين أخريات)، و وقعت هذه جميعها في سلة تربيون في شيكاغو. و كانت

تربيون منظمة مالية ضخمة على نحو واضح و غير حصينة للغاية لهذا السبب حين انفجرت فقاعة السوق و بدأت الأسهم ، خاصةً أسهم الصحف ، بالتراجع . و قد جعل كارول التايمز تطوف على نحو ناجح و كان عرضة للقبول بالاقتصاد في النفقات حين راح رؤساؤه في شيكاغو يطلبون منه التقليل من تكاليف التحرير في عام ٢٠٠٣ . ثم طلبوا منه التقليل مرة أخرى . ثم مرة أخرى . و بدأ يعترض و يحتج بأن التقليل يدمر الصحيفة بصورة جدية ، غير أن الجماعة في شيكاغو أصروا على مزيد من التخفيض . و في نهاية الأمر ، في عام ٢٠٠٥ ، استقال . و سرعان ما أخبروا رئيس التحرير الذي أعقبه بأنه ما زال هناك المزيد من التقليل سيكون من الواجب القيام به ، فاستقال هو أيضاً .

لقد أخذت نفقات الصحافة بالانخفاض بفعل نظرية لوول ستريت تقول بأن الأرباح يمكن تصعيدها من خلال الهبوط بالانتاج . فأحست الصحف في كل مكان بطلبات قاسية من أجل أداء محسّن للأسهم . و تركت سياسة تخفيض الكلفة الناشئة المشهد منثوراً بصحف ضعيفة، مجروحة، لا نفع فيها بشكل متزايد لأي قاريء يهمه ما يجري في العالم ، و البلد ، و المجتمع المحلي. و قلل تخفيض الكلفة من عدد المراسلين المعينين في الخارج ، و أذبل من نشاط مكاتب الأخبار أو أغلقها في واشنطون، و أقعد هيئات محرري التقارير المحلية التي كانت تراقب ما يفعله حكام الولايات، و رؤساء البلديات، والهيئات التشريعية في الدولة، إضافةً لأوغاد البلدات، و النصّابين، و المحلفين الزور. كما قلّص من حجم الصفحة النموذجية للصحيفة، مخفّضاً بذلك من كلفة طباعة الأخبار بتخفيض مضمونها.

وتُبلغ الصحف عن تآكلها في أعمدتها الخاصة بالأعمال ، مسجلة إنجازاً بإنج تقلص حجم الصفحات لديها و تقلص تغطية الأخبار وظيفة بوظيفة ، لكن الإحصاءات لوحدها لا تستطيع نقل الخسارة الحقيقية إلى البلاد. فبالإضافة إلى لوس أنجلس تايمز ، فإن الصحف التي تبين أضرار تقليص الكلفة الواسع تتضمن الكثير مما احتل منزلة عالية من أروع صحف البلاد:

بالتيمور سَن، ميامي هيرالد، فيلادلفيا إنكوايرَر ، ديس موينز ريجستر، هارفورد كورانت ، كوريَر جورنال في لويسفيل ، سان خوزيه ميركوري نيوز، على سبيل المثال.

إن المالكين ذوي الأسلوب الجديد غالباً ما تصيبهم الحيرة حين يواجههم محرروهم و مراسلوهم بالحجة التقليدية بأن عمل الصحافة هو توفير خدمة عامة عن طريق تجهيز المعلومات التي يحتاجها المواطنون من أجل جعل الديموقراطية تقوم بعملها . فالمالكون الجدد لديهم وجهة نظر مختلفة بخصوص الواجب . و هم "أحياناً يحيرهم بشكل حقيقي أن يجدوا أناساً في وسطهم لا يشعرون بالامتنان ، أولاً و قبل كل شيء ، تجاه المساهم" ، كما يقول كارول . و هو يبين أن رأسمال السوق الحرة في الواقع لا يعمل جيداً جداً في عمل الصحافة ، و إذا ما استُعمِل بصرامة ، فإنه يدمره.

عن
The New York Review of Books

The Washington Post

Flow of terrorist recruits increasing

Westerners attending camps in Pakistan and Afghanistan despite successful U.S. strikes

BY CRAIG WHITLOCK

In health debate, those numbers are just numbers

The CBO's price tags are educated guesses, but guesses nonetheless

BY LORI MONTGOMERY

WASTING AWAY AN AIDS PROGRAM'S BROKEN PROMISES
A WASHINGTON POST INVESTIGATION

'It doesn't seem right'

A group plagued by service, cost complaints is awarded $4.5 million. How?

BY DEBBIE CENZIPER

Top aides to Obama upbraid Wall St.

BONUSES AFTER THE BAILOUT

'I never ago . . . these institutions were teetering'

BY MICHAEL A. FLETCHER AND ZACHARY A. GOLDFARB

Down and out

Frugality falling out of fashion?

A returning hunger for retail therapy thaws out the credit card

BY ANNIE GOWEN

Bombing Targets Guard

Gallaudet's new president

The New York Times

SPECIAL PROJECTS BY CONGRESSMAN DRAW COMPLAINTS

PROSECUTOR REVIEWS CASE

Millions of Federal Dollars Sent to 5 Foundations in West Virginia

Page Six

SUICIDE BOMBERS KILL AT LEAST 71 AT SHIITE MOSQUE

U.S. Envoy Says a Sectarian War Could Spread Beyond Iraq

British Rethinking Test Rules After Drug Trial Nearly Kills 6

Scandal Jolts a Scandal Sheet, and Gossip Swirls

WALL STREET JOURNAL.

SATURDAY/SUNDAY, JUNE 2 - 3, 2007

WEEKEND EDITION

PICKS

HIT LIST/ *Lucinda Williams*

The folk-rock singer on albums by her favorite songwriters

LUCINDA WILLIAMS's music spans genres from rock to country to folk. She's known for the lyric-driven, image-heavy songs and raw vocals on her albums, including "Car Wheels on a Gravel Road" and "World Without Tears." One of her biggest hits was "Passionate Kisses," also covered by Mary Chapin Carpenter. Ms. Williams recently released "West," an emotional diary of songs, featuring the plaintive "Are You Alright?" and the even more mournful "Fancy Funeral." We spoke with the three-time Grammy winner about albums from her favorite fellow singer-songwriters.

—Lyneka Little

◀ **'Highway 61 Revisited,'** Bob Dylan, *1965*

"It was kind of poetry set to music," says Ms. Williams, whose father, Miller Williams, is a renowned poet and retired literature professor. "It represented the literary world, which I was a part of, and the folk-music world, which I was being influenced by." She was exposed to the album at age 12 by one of her father's pupils.

◀ **'Wildflowers,'** Judy Collins, *1967*

"It works beautifully as an album," says Ms. Williams of this collection, which also features songs written by Joni Mitchell and Leonard Cohen. "Hey, That's No Way to Say Goodbye," by Mr. Cohen, is one of her favorite songs on the album.

◀ **'Ode to Billie Joe,'** Bobbie Gentry, *1967*

"Her stuff was kind of country soul," Ms. Williams says. "Like I got caught between the proverbial crack between country and rock when I first was trying to get a record, she kind of got caught in the cracks." The album is out of print, but the title cut is on "Ode to Bobbie Gentry" (pictured).

◀ **'Five Leaves Left,'** Nick Drake, *1969*

"I listen to him every morning," says Ms. Williams. This album, Mr. Drake's first, "has some strings and beautiful muted sounds," she says. Her favorite song, "Fruit Tree," is "really stunning."

◀ **'Everybody Knows This is Nowhere,'** Neil Young, *1969*

"It's when he first started coming out on his own," Ms. Williams says of this album, which also features Mr. Young's backup band, Crazy Horse. "It propels things forward in the same way as Bob Dylan."

العدد (1820)السنة السابعة -الاحد (13)
حزيران 2010

ابدت الكتب قوة هائلة من اجل الخير ومن اجل الشر طوال التاريخ المسجل للجنس البشري .. في هذه الصفحات سنقدم مناقشة لعشرة كتب كان لها تاثير في التاريخ والاقتصاد والثقافة والعلوم من عصر النهضة الى يومنا هذا انها كتب بالغة القوة نقدمها في ملحق (اوراق) والكتب من اختيار الدكتور روبرت داونز الرئيس السابق للمكتبة الوطنية الامريكية يبين بوضوح ذلك النفوذ الواسع للكتاب، كتاب داونز صدر في الخمسينيات من القرن الماضي اراد فيه المؤلف ان يقدم عرضا مثيرا للكتب من عدة عصور تبين القوة الهائلة للكلمة المطبوعة واثرها في التقدم البشري.

10 كتب هـزت العالم

٨- تفسير الأحـلام..فـرويـد

اتفق على على ان علم النفس يختلف عن سائر فروع المعارف الاخرى في انه اكثرها غموضاً واعظم لغزاً بينها، واقل جميع العلوم قابلية للبرهان العلمي. ففي طبيعة الاشياء، لامفر من الزوغان وعدم قبول التكهن، لأن العالم النفساني، يتناول اعظم الظواهر الطبيعية غموضا، فأية نظرية في الكيمياء أو في علم الفيزياء، يمكن تحقيقها أو البرهنة على صحة اية نظررية في علم النفس. ومن هنا نشأت عاصفة الجدل بين سيغموند فرويد والمحللين النفسانيين لمدة تزيد على الستين عاماً.

وسواء قبلت نظريات فرويد البرهنة أو لم تقبلها، فقد كان لها تأثير منقطع النظير على الفكر الحديث.. وحتى اينشتاين نفسه لم يمس تصورات معاصريه او يتدخل في حياتهم مثلما فعل فرويد. صاغ فرويد افكاراً ومصطلحات في محيط المناطق المجهولة من العقل، صارت جزءا من حياتنا اليومية، لقد احس بأثار تعاليمه كل مجال من المعارف –الادب والفن والدين وعلم الاجناس البشرية والتعليم والقانون وعلم الاجتماع وعلم الاجرام والتاريخ ، وتاريخ حياة الافراد وغير ذلك من دراسات المجتمع والفرد.

برغم كل ذلك، هناك بعض الحلاوة والضوء في هذه التعاليم ،وقد ابدى احد النقاد غير الاوفياء ملاحظته قائلا:

"عندما انتشرت نظريات فرويد، ظهر امام الرجل العامي كأعظم مفسد للسرور في تاريخ الفكر البشري، يحول مزاج الانسان ومرحه الى كبت محزن غريب، ويجد العداوة في جذور الحب والضغينة في قلب الرقة، والزنا بالاقارب في المحبة البنوية، والاجرام في السخاء وكراهية الاب المكبوتة، كطبيعة بشرية عادية موروثة".

ومع هذا ، فبسبب فرويد، تختلف فكرة الناس، اليوم عن انفسهم، يعتقدون ان افكار فرويد مثل تأثير عدم اكتمال الادراك على الوعي، والاساس الجنسي لاضطراب وظائف الاعصاب ،ووجود الغريزية الجنسية لدى الاطفال واهميتها، ووظيفة الاحلام، وعقدة أوديب، والكبت والمقاومة وقراءة الافكار، يعتقدون ان هذه الافكار امور عادية، ثم ان عيوب الانسان كفلتات اللسان ونسيان الاسماء وعدم القدرة على تذكر الروابط الاجتماعية، تتخذ اهمية جديدة عن النظر اليها من وجهة نظر فرويد.

ومن الصعب الان ادراك مقدار التعصب الذي كان على فرويد ان يتغلب عليه عند نشر نظرياته، اذ كان ذلك اشد بكثير مما لاقاه كوبرنيكوس وداروين.

عندما ولد فرويد في قرايبرج احدى مدن مورافيا لم يكن كتاب الانواع قد ظهر بعد كان ذلك في عام ١٨٥٦ ، وكان اسلاف فرويد مثل اسلاف كارل ماركس، حاخامات ، بيد ان فرويد، على عكس كارل ماركس، قال: "بقيت يهوديا"..انتقل فرويد وهو في الرابعة من عمره، مع اسرته ، الى فيينا حيث قضى كل صباه.

وتبعاً لأهم كاتب لتاريخ حياته ارنست جونز، يدين لوالده تاجر الصوف، "بارتيابه الحكيم في تقلبات الحياة غير المؤكد، وعادته في ذكر مبدأ اخلاقي برواية قصة يهودية، وعدم اعتقاده في امور الدين". وعاشت والدة فرويد حتى بلغت الخامسة والتسعين من عمرها.. شخصية جمة النشاط ولافرة الحيوية، وكان سيغموند هو مولودها البكر وابنها المحبب. وبعد ذلك كتب يقول: "ان الانسان المتمتع بالحظوة غير المتنازع عليها لدى امه، يحس طول حياته بمشاعر القاهر، وهي الثقة بالنجاح الذي يحث غالبا على النجاح الحقيقي".

أولع فرويد في اول حياته بنظريات داروين لأنه أحس بأنها "توحي بامال في تقدم خارق لمفهومنا عن العالم" واذ رغب في ان يكون طبيبا ، التحق بجامعة فينا ليدرس الطب، ونال البكالوريوس في عام ١٨٨١ ، واذ عين طبيب امتياز مقيما في المستشفى العام.

استمر في دراسة علم الاعصاب وتشريح المخ.

وبعد بضع سنوات ، حدث التغير في حظه الذي انتهى برسوخ شهرته العالمية.ز صحه زميل جائل الى باريس ليعمل تحت امرة جان شاركو ، الذي كان وقتئذ استاذا فرنسيا واسع الشهرة في علم الامراض واختصاصيا في الاعصاب فحظى بالاتصال المباشر باعمال شاركو في الهستيريا وعلاجه لها بالتنويم الايحائي، ومما اعجب فرويد برهنة شاركو على صحة الظواهر الهستيرية وانقباض العضلات الهستيري بالتنويم الايحائي"، ومشابهتها في مظهرها عموما بنوبات الهستيريا الحقيقية.

غير انه لما رجع فرويد الى فيينا، لم يستطع اقناع زملائه الاطباء بأي اساس علمي لعلاج الاضطرابات العصبية بطرق التنويم المغناطيسي ، والادهى من ذلك انه عوقب على آرائه المتطرفة باستبعاده من معمل تشريح المخ.

ومنذ ذلك الوقت صار شخصية منعزلة وانسحب من الحياة الاكاديمية.. وانقطع من حضور اجتماعات جمعيات العلماء. واثناء ممارسته الخاصة للطب، استمر سنوات عدة يجري التجارب بالتنويم المغناطيسي ،ولكنه هجر تدريجيا اذ لم يخضع لتجاربه غير القليل من الناس، ولان التنويم المغناطيسي نفسه ينتج احياناً اثارا مفجعة على الشخصية التي ينومها.. فاستعاض عن ذلك بتطوير الطرق المعروفة باسم "المشاركة الحرة" التي صارت منذ ذلك الوقت مهنة التحليل النفسي الاصلي.

لاجدال في ان فرويد هو مؤسس طب الامراض العقلية الحديث. فقبل عصره كان طلب الامراض العقلية يتناول اغراض الجنون، مثل انشقاق الانف ومرض العقل الجنوني الهبوطي، الذي يحتاج الى العزل في مستشفى الامراض العقلية.. بدأ فرويد عمله الاكلينيكي بعلاج حالات الكبت والتنازع العصبي، وسرعان ما استنتج ان مثل هذه التنازعات ليست قاصرة على مرضى الاعصاب ، بل تصيب ايضا سليمي العقول، وعلاوة على ذلك، ليست الاضطرابات العصبية امراضا بالمعنى الصحيح، بل حالات نفسية للعقل. وكانت المشكلة الكبرى هي كيفية علاج هذه الاضطرابات العقلية الواسعة الانتشار، وبناء على ملاحظاته وتجاربه وممارساته علاج كثير من مرضى فيينا، بني أسس التحليل النفسي في اواخر ذلك القرن.

كان فرويد من اعظم كتاب العلوم الكثيري التصانيف في عصرنا.. فلا يمكن ان نجد مجموعة الافكار الجديدة والاراء السيكولوجية التي خرجت من قلمه، في أي كتاب فرد أو صحيفة واحدة.

ومن المحتمل انه كان ينظر الى اول مؤلف له، وهو المؤلف العظيم "تفسير الاحلام" الذي صدر في عام ١٩٠٠ كأكثر مؤلف حبيب الى نفسه، ويضم جميع الملاحظات والاراء الاساسية تقريبا.

وفي احد مؤلفاته الاولى بعنوان "دراسات في الهستيريا" الذي نشر في عام ١٨٩٥، ذكر اعتقاده بأن الاضطرابات الجنسية هي "العامل الاساسي واهم اسباب الاضطرابات العصبية والاضطرابات العصبية النفسية".

وهي احد احجار الزاوية في نظرية التحليل النفسي، وفي السنوات القليلة التالية، كتب فرويد آراءه في المقاومة، وانتقال الافكار ومشاكل الجنس في عهد الطفولة، والعلاقات بين الذكريات البغيضة والاوهام ، وميكانيكية الدفاع والكبت.

يبين ملخص موجز للنظريات الاساسية، شيئا من تعقيد التحليل النفسي، فأولا ليست كلمة الامراض العقلية وكلمة الامراض العقلية النفسية مترادفتين، يمكن اعتبار الامراض العقلية النفسية فرعا من الامراض العقلية وتطبق عموما على اشد حالات اضطرابات الشخصية صعوبة. ثم يمكن تعريف التحليل النفسي بأنه فن علاجي لمداواة الاضطرابات العصبية والنفسية.

وتبعا لتقرير حديث، يوجد مجرد ثلثمئة اختصاصي في التحليل النفسي من بين اربعة الاف طبيب نفساني في الولايات المتحدة الاميركية.

لم يعجب العلاج الفردي فرويد الانادرا ، واعتبر حالات سوء التكوين النفسي في الافراد، كأعراض الخلل الاقتصادي والاجتماعي، والثقافي للعالم المعاصر ، كان غرضه مهاجمة المرض جذرياً.

يتفق معظم النقاد على ان حق فرويد في الشهرة الدائرة يعتمد على اكتشافه وارتياده للعقل غير الواعي، فقارن عقل الانسان بجبل جليد ثمانية اتساعه مغمورة تحت السطح فقال ان معظم العقل مختلف داخل الـلاواعي.. وتوجد تحت السطح دوافع ومشاعر، واغراض لايخفيها المرء من غيره فحسب، بل وعن نفسه ايضا، ويقول علم النفس الفرويدي ان العقل اللاواعي هو المسيطر، بينما النشاط الواعي مختصر الى مركز تابع واذ توصلنا الى فهم الاعماق الكبيرة وغير المعروفة للعقل اللاواعي، عرفنا الطبيعة الداخلية للانسان، فقال فرويد ان معظم تفكيرنا لاواع، ولايصير واعيا الا مصادفة.. والعقل اللاواعي هو مصدر الاضطرابات العصبية لان الفرد يحاول ان يزيح ذكرياته البغيضة ورغباته الباطلة الى تلك المنطقة ولكنه لاينجح الا في حفظها للمتاعب المستقبلة.

قسم فرويد النشاط الذهني للفرد على انه يحدث على ثلاثة مستويات اطلق عليها، الايد، والذات، والذات السامية، والايد ذات اهمية اولى، ويقول فرويد ان"منطقة عمل الايد هي الجزء المظلم غير الممكن الوصول اليه من شخصيتنا، والقليل الذي عرفناه عنها، عرفناه عن طريق دراسة الاحلام وتكوين اعراض الاضطرابات العصبية".

والايد هي مركز الغرائز والانفعالات البدائية ، وتمتد الى الوراء، الى الماضي الحيواني، وهي حيوانية وجنسية في طبيعتها.. انها غير واعية ، ويستطرد فرويد فيقول: "تحتوي الايد على كل شيء موروث وكل ما هو موجود عند الميلاد وكل ما هو ثابت في تكوين الشخص".

الايد عمياء متهورة وكل غرضها هو تحقيق رغباتها وملذاتها من دون تقدير للعواقب ،وبنفس الفاظ توماس مان لاتعرف اية قيم ولا خيرا ولا شرا ولا اخلاقاً".

الطفل الحديث الولادة نموذ الايد. وبالتدريج تنمو الذات من الايد اثناء نمو الطفل ، وبدلا من انه ان تكون الذات منقادة تماما بمبدأ اللذة، يحكمها مبدأ الحقيقة، تعي الذات العالم حولها مدركة وجوب كبح ميول الايد الجامحة منعا لخرق قوانين المجتمع وكما قال فرويد: ان الذات هي الوسيط بين مطالب الايد الطائشة وتحريم العالم الخارجي".. وعلى هذا تعمل الذات بمثابة رقيب على دوافع الايد وتلائمها تبعا للمواقف الحقيقية مدركة ان تحاشي العقاب او حتى صيانة النفس، قد تعتمد على مثل هذا الكبت.. وقد ينجح عن الصراع بين الذات والايد اضطرابات عصبية تؤثر على شخصية الفرد.

واخيرا، هناك العنصر الثالث للعملية الذهنية، وهو الذات السامية، التي يمكن التوسع في تعريفها بالوعي، وكتب أ.أ.بربيل وهو اعظم انصار فرويد في اميركا ، كتب يقول:

"الذات السامية أرقى تطور ذهني يمكن ان يصل اليه الانسان، وتتالف من رواسب جميع المحرمات وجميع القواعد الشخصية التي يطبعها الوالدان في الطفل والبدائل الابوية.

ويتوقف الاحساس بالوعي كلية على نمو الذات السامية".

وتشبه الذات السامية الايد في كونها غير واعية ، وكلتاهما في صراع دائم بينما تعمل الذات حكما

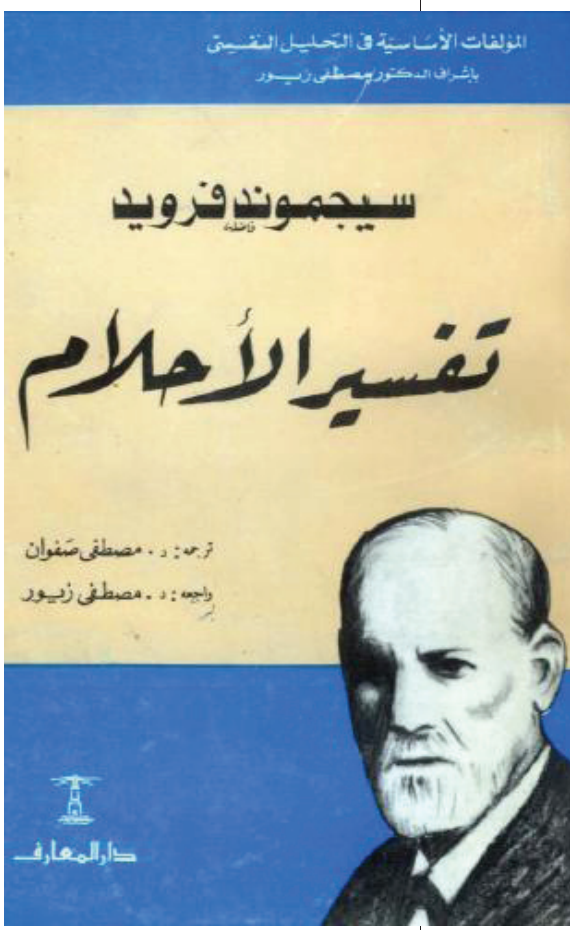

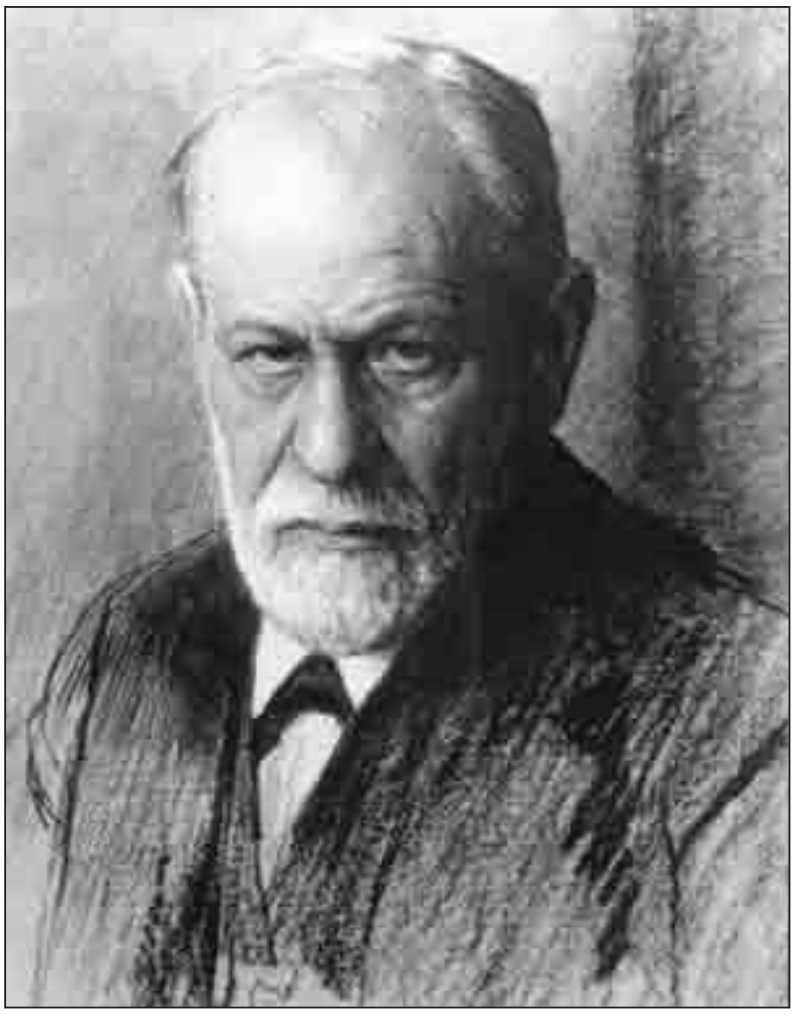

بينهما. وتكمن المثل الاخلاقية وقواعد السلوك في الذات السامية.

عندما تكون الايد والذات السامية في انسجام معقول، يكون الفرد طيب المزاج سعيداً، اما اذا صرحت الذات للايد بخرق القوانين، احدثت الذات السامية قلقا واحساسا بالاثم وغيرها من مظاهر الوعي.. هناك عامل آخر قريب الشبه من الايد..اوجده فرويد، وهو نظريته عن الشهوة الجامحة، فيقول ان جميع انفعالات الايد مشحونة بصورة من "النشاط النفسي" اصطلح على تسميته، أي الشهوة الجامحة، جوهر مذهب التحليل النفسي" ويعتبر جميع ما يتعلمه المرء من ثقافة وفن وقانون ودين وغير ذلك من تطورات للشهوة الجامحة.. وبينما يشار الى هذه الشهوة بأنها نشاط جنسي.. فالواقع ان كلمة "جنسي" تستعمل في معنى واسع جدا.. فتتضمن في حالة الاطفال الحديثي الولادة اعمالا منها مص الابهام والرضاعة بالبزازة والتبرز.. وفي السنين اللاحقة، قد تنتقل الشهوة الى شخص آخر عن طريق الزواج، وتتخذ صورة انحراف جنسي، أو يعبر عنها بخلق فني أو ادبي او موسيقي – وهذه عملية تعرف باسم طالاحلال" والغريزة الجنسية في رأي فرويد، هي اعظم مصدر العمل الخلاق.

يقرر فرويد في اعظم نظريات التحليل النفسي جدلا، انه تحت تأثير الشهوة الجنسية، تنمو في الطفل احساسات جنسية نحو والديه مبتدئاً بأولى اللذات الجنسية المشتقة من التغذية بثدي امه، فتكون لدى الطفل صلة حب لمه، وعندما تتقدم به السن، ولكن في سن مبكرة تنمو لدى الطفل الذكر انفعالات جنسية قوية نحو امه، بينما يقت اباه ويخافه كمنافس له.

اما الطفلة الانثى فقد تبتعد عن صلتها القريبة بأمها وتقع في حب ابيها وتصر الام موضع كراهيتها. ومنافسة لها. وبتطبيق هذه النظرية على الطفل الذكر، يطلق عليها اسم "عقدة أوديب" التي اخذت اسمها من الشخصية الاسطورية الاغريقية القديمة "اوديب" الذي قتل اباه وتزوج امه.. وقال فرويد ، ان عقدة اوديب موروثة عن اسلافنا البدائيين الذين قتلوا اباءهم في ثورات الغيرة..وعندما يصل الشخص الطبيعي الى طور البلوغ تنمو فيه الدوافع الاوديبية.. اما الافراد الضعاف فقد لاينجحون اطلاقا في قطع الصلة بالابوين، وبذا ينقادون الى سلسلة من الاضطرابات النفسية.

ومن الطرق المثمرة الاخرى، التي ابتكرها فرويد للوصول الى الصراعات والعواطف الداخلية، تحليل الاحلام، الذي كان فرويد أول من توصل اليه فقبل عصره اعتبرت الاحلام، من دون معنى أو هدف.

كان كتابه "تفسير الاحلام" اول محاولة لدراسة عملية جديدة لهذه الظاهرة.. وقد ابدى فرويد ملاحظته بعد نشر ذلك الكتاب باحدى وثلاثين عاما، "بأنه يتضمن، حتى بعد حكمي في هذا اليوم الحاضر، اعظم الاكتشافات التي ساعده الحظ في ايجادها، واكثرها قيمة". وتبعا لفرويد "يحق لنا ان نؤكد ان الحلم هو الانجاز المستمر، لرغبة مكتوبه". يمثل كل حلم دراما في العالم الداخلي "فالاحلام دائماً نتيجة صراع. وقال فرويد: والحلم هو حارس النوم".. ووظيفته مساعدة النوم، لا ازعاجه فيطلق سراح التوترات الناتجة عن رغبات لايمكن تحقيقها.

عالم الاحلام ، حسب رأي فرويد، واقع تحت سيطرة العقل غير الواعي بالوحدة الوراثية، (الايد) والاحلام مهمة لاختصاصي التحليل النفسي، لانها تقوده الى العقل غير الواعي للمريض. وتكمن، في العقل اللاولعي، جميع الرغبات البدائية والرغبات العاطفية المكبوتة من الحياة الواعية بواسطة الذات والذات السامية. والرغبات البهيمية موجودة دائما تحت السطح، وتدفع نفسها الى الظهور في الاحلام، وحتى في النوم، تقف كل من الذات والذات السامية في موقف الحراسة كرقيبتين.

لهذا السبب كانت معاني الاحلام غير واضحة دائما، وانما يكون التعبير عنها في صورة رموز تحتاج الى خبير يفسرها.. وكرموز لايمكن اخذها حرفيا الا، بالطبع في الاحلام البسيطة للاطفال.

ويحتوي كتاب "تفسير الاحلام" امثلة عدة حللها فرويد تحليلا نفسيا.

ومن الاعمال االتعبيرية للعقل اللاواعي، اخطاء التهجمي وزلات اللسان، وحيل شاردي الذهن، ويقول فرويد "بنفس الطريقة ينتفع اخصائي التحليل النفسي من تفسير الاحلام، كما ينتفع من الزلات البسيطة الكثيرة والاخطاء التي يقوم بها الناس –التي يطلق عليها اسم افعال عارضة".. في عام ١٩٠٤ ، فحص فرويدذ لك الموضوع في كتابه "العلاج النفسي للحياة اليومية".

يقرر في ذلك المؤلف، "وليست هذه الظواهر وليدة المصادفة.. فلها معنى ويمكن تفسيرها.. ويقنع المرء بأن بيتخلص منها وجود انفعالات ونيات مكبوتة". فنسيان المرء لاسم ما: معناه ان يكره الشخص المسمى بذلك الاسم.. وعندما يفوت القطار شخصا يسبب التباس في جدول المواعيد.. فقد يدل ذلك على انه لايرغب في ركوبه، والزوج الذي يفقد مفتحا بيته او يشتاه، قد يكون غير سعيد في بيته ولايرغب في العودة اليه. يمكن لدراسة مثل هذه الهفوات ان تقود اختصاصي التحليل النفسي الى متاهات العقل اللاواعي.

يمكن الحصول على المنطلق نفسه من النكات التي سماها فرويد "خير صمام أمن انتجه الانسان العصلاي".. اذ من خلالها نتحرر مؤقتا من حالات الكبت التي يريدنا المجتمع المؤدب ان نخفيها.

ربما كان بسبب احساس محذر سابق، او تخلص من الاوهام متزايد، او منتهى التشاؤم ، ان صار فرويد، في اواخر ايام حياته، مشغولا "بغريزة الموت"..انتهى به الامر الى اعتبار هذه الفكرة على قدم المساواة في الاهمية مع "الغريزة الجنسية".. فقرر فرويد ان هناك غريزة موت تسوق جميع المواد الحية الى العودة الى الحالة غير العضوية التي جاءت منها. وتبعا لهذا الرأي تتجاذب المرء باستمرار قوتان: قوة الحث على الحياة وهي الغريزة الجنسية، وقوة مضادة اخرى هي الحث على الهلاك أو الابادة، وهي غريزة الموت.. وبطبيعة الحالن تتغلب في النهاية غريزة الموت.. وهذه الغرزة هي المسؤولة عن الحرب وعن انواع السادية كالتعصب ضد الاجناس والطبقات والمتعة الشديدة في المحاكمات الاجرامية ومصارعة الثيران، والاعدام من دون محاكمة.

وبالاختصار كل ما سبق ذكره هو النفط الرئيسة في نظرية فرويد.. وقد انقسم علماء النفس اليوم الى معسكرين او ثلاثة معسكرات متعارضة ن يؤيد البعض فرويد، ويعارضه بعض اخر، وحتى تلاميذه ، عدلوا قبولهم المطلق لنظرياته في الخمسين عاما الماضية، وها هو الفريد ادلر احد اتباعه المبكرين، ينشق عن المعسكر الفرويدي لاعتقاده ان فرويد اكد الغرائز الجنسيةن اكثر من اللازم ، وكمذهب بديل، اخذ ادلر يعلم ان رغبة كل انسان في اثبات تفوقه هي الينبوع الاساسي في السلوك البشري، وقد انشأ فكرة "مركب النقص" الذي يضطر الفرد الى النضال لابراز نفسه في نشاط ما، ومن مشاهير المنشقين الاخرين: كارل جونج احد موطني مدينة زيوريخ الذي حاول ايضا ان يقلل من دور الجنس، قسم جونج البشرية الى نوعين نفسانيين: احدهما مقلوب من الداخل الى الخارج، والثاني مقلوب من الظاهر الى الباطن، ولو انه ادرك ان كل فرد خليط من النوعين وعلى نقيض فرويد، اكد جونج عوامل الوراثة في تكوين الشخصية، وعلى العموم فان نقاد فرويد يخالفونه في بعض النقاط، مثل اصراره على الاهمية الاولى للاضطرابات النفسية في عهد الطفولة، واتهامه الناس بان تتحكم فيهم الغرائز البدائية الصارمة، وعلى تصعيده الشهوة الجنسية الى مركز رئيسي في تكوين الشخصية.. كذلك يخالفه البعض في اعتقاده ان التسلسل الحر للافكار طريقة لا تخطئ لارتياد العقل الباطن، مبرزين بنوع خاص، صعوبة تفسير المعلومات الناتجة عن هذه الطريقة.

تغدو الطبيعة الثورية لاستنتاجات فرويد عندما نتذكر انه كان يفحص مجالا لم يرتده احد قبله اطلاقا، وهو منطقه من العقل البشري لم ينفذ اليها احد منق بل ، واعتبرت مظاهرها الواضحة غير قابلة للتفسير ، او انها انحرافات فاسدة ، او تجاهلها العلماء لانها تقع تحت اقوى المحرمات البشرية. ولم يدرك مجرد وجود هذا المجال – فاضطر فرويد الى فرض حقيقة وجود منطقة لاواعية بالعقل، ثم محاولة ارتيادها بالتفكك الواضح في سلسلة الاحداث العقلية الواهية.

واخيرا قررت وينفريد اوفر هولستر انه: "هناك سبب قوي الى الاعتقاد بانه بعد مئة عام منذ الان، سيعتبر فرويد في مصاف كوبرنيكوس ونيوتن، كأحد الرجال الذين فتحوا افقا جديدا من افاق الفكر.. فمن المؤكد انه في عصرنا هذا، لم يلق احد ضوءاً على اعماق عقل الانسان.. كما فعل فرويد".

قضى فرويد اخر اشهور حياته في المنفى.. فبعد احتلال النازي للنمسا، اضطر الى مغادرة فيينا في عام ١٩٣٨ ، فمنحته انكلترا حق اللجوء، ولكن سرطان الفم تسبب في موته في سبتمبر عام ١٩٣٩ ، بعد ذلك باكثر قليلا من عام.

خزانة المدى

باسم عبد الحميد حمودي

العاطل الحالي والمرخص الغالي لصفيّ الدين الحلي

المؤلف هو العلامة الشاعر صفي الدين أبو الفضل عبد العزيز بن سرايا بن أ بي القاسم الحلي الطائي ،ولد في مدينة الحلة في وسط العراق في ٢٦/٨/ ١٢٢٨ م الموافق للخامس عشر من ربيع الآخر سنة٦٧٧هـ ، ودرس في بيتوتاتها العلمية في صباه ، حتىثأر لمقتل خاله عبد الرحمن عام ٧٠١ هـ ، وهاجر الى ماردين اتقاء لثأر مقابل يودي به .

قضى صفي الدين فترة من الوقت في ماردين عمل خلالها في التجارة مرتحلا الى مدن متعددة في مصر والحجاز والشام ثم أستقر ببغداد حتى توفي فيها سنة ٧٥٠هـ وعمره٧٣ عاما .

خلال عمله بالتجارة درس على يد علماء عصره في كل مدينة وصلها وقصد الامراء مادحا وأفاد من عطاياهم، وقد وضع صفي الدين ديوانا شعريا رتبه حسب موضو عاته ، وكان يسكن مصر ، ووضع ديوانا في مديح المنصور حاكم ماردين، وأنشأ مطولة في مدح الرسول الاكرم صلى الله عيه وسلّم تتألف من ١٤٥ بيتا من البحر البسيط ، ووضع في كل بيت مثالا من البديع .

ويعد كتاب (العاطل الحالي والمرخص الغالي) خاصا بما أسماه النقاد االفنون الشعرية غير المعربة وسموه ايضا الشعر الملحون مثل: الزجل والكان وكان والقوما والماليا ، أتى فيه بنصوص من العراق ومصر والاندلس والشام ، وعده الباحثون في الادب والتراث الشعبي مصدرا مهما لدراسات اساسية في هذه الابواب .

سمّى صفي الدين الحلي الوان الشعر هذه بـ (الفنون) ، وهي تختلف حسب اختلاف بلاد مخترعيها وتفاوت اصطلاح مبتدعيها، فالكان وكان له وزن واحد وقافية واحدة والماليا له وزن واحد واربع قواف، والقوما له وزنان وثلاث قواف وعد صفي الدين أن مجموع فنون النظم سبعة لاختلاف تسمياتها ومضامين بعضها بين المشارقة والمغاربة .

السبعة من الفنون عند اهل الغرب(بلاد المغار ب العربية) ومصر والشام هي : الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليا والكان وكان والحماق ، وأهل العراق وديار بكر ومن يليهم يثبتون خمسة منها ويستبدلون الزجل والحماق بالحجازي والقوما .وهما فنان شعريان اوجدهما اهل بغداد للغناء في سحور رمضان خاصة ،والحجازي وزن بيتين من بحر السريع بثلاث قواف .

و(القوما) فن شعري اخترعه البغاددة واشتق اسمه من قول المغنين للتسحيرفي آخر كل بيت منه بعد غناء الرمل او الزجل بدعوة رب المنزل : قوما للسحور

وينفي صفي الدين ان الشاعر ابن مقلة قد اخترع القوماويقول انه وجد قبله لكن أبن مقلة ابدع فيه زمن الخليفة الناصر الذي كان يطرب له في ليالي رمضان ويهدي الشاعر مكافآت سخية فلما توفى الشاعر خلف ولدا له أرق صوتا واكثر حيلة ذلك أنهجمع اصحاب الصنعة معه ليلة رمضان الاولى ووقف تحت الطيارة (مكان مرتفع ينام او يسهر الناصر فيه) وغنى النوبة بصوته الرقيق فطرب الخليفة لصوته فلما وصل الى القوما كان أول ما قاله :

يا سيد السادات لك بالكرم عادات
أنا بني ابن نقطة تعيش أبي قد مات

فاعجب الخليفة بطريقة المؤدي في الاخبار والتلخيص وضاعف عطاءه .

جمع المؤلف كل هذه الفنون وأوضح قواعدها وجاء بأمثلة لهاكثيرة واسماء العاطل الحالي والمرخص الغالي ،لكونه عاطلا عن الاعراب ، حاليا من المعاني والاداب، مرخصا بين اهل الهزل والطرب،غاليا على ذوي الجد .

حقق قبل حسين نصار المستشرق و(لهلم هورنباغ) في المانيا سنة ١٩٥٥ هذا الكتاب وكان د. نصار واستاذه مصطفى السقا قد استعارا مخطوطة الكتاب من دار الكتب المصرية وعملا على تحقيقه بسنوات قبل عمل المستشرق الالماني لكنهما وقفا عند العامية العراقية وانتظرا من يعينهما على الايضاح فاعادا المخطوطة الى المكتبة ليستعيرها آخر مدة طويلة اضاعت عليهمافرصة استكمال العمل معا حتى انفرد به د. نصار لوفاة استاذه السقا فكان للتحقيق حكاية تستحق الذكر مثلما يستحق الكتاب الاشادة والتقدير.

أوراق
العدد (1820) السنة السابعة - الاحد (13)
حزيران 2010

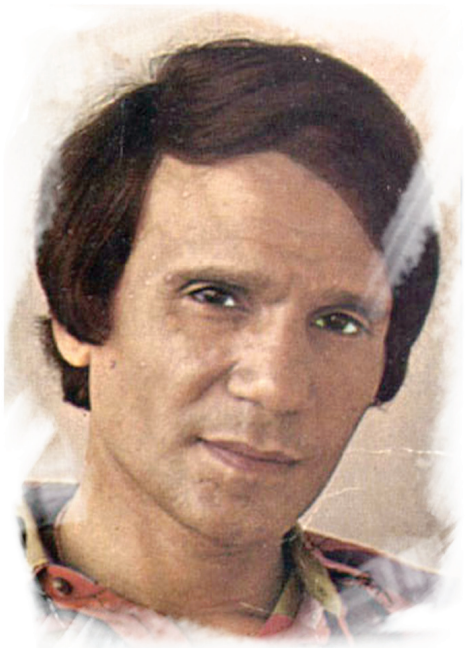

طبيبه الخاص يصدر كتابا عنه

عبد الحليم حافظ .. من الملجأ إلى القبر

في احد الملاجئ عام١٩٣٧ كان يقف عبد الحليم الطفل الصغير يرتدي بنطلونا قصيرا كاكيا يتفحص الأطفال من حوله. كان حليم يمسك بعسلية خطفها منه طفل اخر جرى وراءه حليم حتى احتمى الطفل بضابط على المعاش.

عينته إدارة الملجأ للاشراف على الاطفال وملاحظتهم وكان هذا الرجل غريب الاطوار ويعامل الاطفال على انهم نجس وكان دائما يقول ان الضرب

في اولاد الحرام له ثواب عند الله.

هذه كانت مقتطفات من مذكرات العندليب الاسمر يحكي تفاصيل ان دلت على شيء فإنما تدل على مدى تاثير هذه المرحلة في حياته فحياة الملجأ ظلت تطارد عبد الحليم حتى في ايام الشهرة واثرت في فلسفته عن المال.

ولد في٢١ يونيو١٩٢٩ في قرية الحلوات في مصر. توفيت والدته بعد ولادته في نفس اليوم نشأ يتيما من يوم ولادته. وقبل ان يتم عامه الاول توفي والده ليعيش بعدها في ميتم ثم في بيت خاله الحاج متولي عماشة كان يلعب مع اولاد عمه في ترعة القرية ومنها انتقل اليه مرض البلهارسيا الذي دمر حياته، ولقد قال مرة انا ابن القدر، وقدري اسود بحاجة لمصدر وهو الابن الرابع واكبر اخوته هو اسماعيل شبانة الذي كان مطربا ومدرسا للموسيقي في وزارة التربية، التحق بعدما نضج قليلا في كتاب الشيخ أحمد، ومنذ دخول العندليب الاسمر للمدرسة تجلى حبه العظيم للموسيقى حتى اصبح رئيسا لفرقة الاناشيد في مدرسته. ومن حينها وهو يحاول الدخول لمجال الغناء لشدة ولعه به.

يسرد حليم في مذكراته ايام الملجأ من طعام وشراب ونوم ودراسة يقول عبد الحليم في مذكراته: لا احد يستطيع ان يميز لون او شكل او طعم أكل الملجأ يكفي ان اقول ان الارز كان لونه بنيا او اسود كان له زميل في الملجأ يعمل في محل يمتلكه الضابط المتقاعد المشرف على الملجأ وحدثت بينه وبين حليم مشاجرة استجمع حليم قواه الهزيلة وضربه وهنا استنجد الولد بالضابط الذي صفع حليم على وجهه ووقع على رجله اليسرى واصيب بها وظل يمشي بعيدا عن الاثنين وهو ناظر الى الارض فلمحت عيناه ريال فضة ملقى على الارض فرح به ونسي ألم رجله واهانة الضابط له وكان هذا اكبر مبلغ قابله عبد الحليم في طفولته.

حاول حليم اعطاء الريال الفضة الى اخته ولكنها رفضت

× ويضيف الغريب اني كثيرا ما كنت اجد في الطريق ما بين مدرسة الملجأ وبيت خالي نقودا على الارض بلا صاحب كنت اشترى بها حلوى واعطي زملائي اليتامى منها هكذا يروي عبد الحليم واصفا رعاية السماء له فقد كان يجلس في بيت خاله مع اخته علية وكان اخوه اسماعيل موظفا في معامل وزارة الصحة وكان يهوى الغناء ويأتي اسماعيل في اول كل شهر ويعطي علية مصروفها ومصروف عبد الحليم..

× كان حليم يغني في حفلات الملجأ ولكنه كان يكرهها لان الحاضرين كانوا يختارون بعض الموجودين في الملجأ مما لا أهل لهم للعمل كخدم وهذا هو سر معاملة عبد الحليم الطيبة مع الخدم عنده فيما بعد...

، كان حليم يكره دخول دورة المياه لانه كان يلاحظ نزول بعض قطرات الدماء نتيجة اصابته بالبلهارسيا بعد ان يقضي حاجته وهذا معناه انه سيخبر اخته التي بدورها ستخبر أخاها اسماعيل الذي سيصحبه الى المعمل الطبي ويوخز بالإبر التي يكره مفعولها من قيء وألم..

× كما كان حليم شديد الحساسية في التعامل مع الآخرين حتى مع نفسه فكان يرى ان دور خاله هو كونه خاله فقط فكان يرفض دائما ما يقدمه له خاله من مال وكان يعتذر له في كل مرة يعطيه نقودا كان يرى ان خاله مسؤول عنه ولكنه ليس اباه ولا امه كان حليم يكره كلمة شبعان ولا عايز تاكل وكلمة سنشتري لك ملابس جديدة فذلك يعني ان احدا سوف يصرف عليه مالا ولكنه ليس اباه او امه لذلك قرر ان يعرض على اخيه اسماعيل ان يعيش معه في القاهرة ليعمل بقالا او ساعيا ولكن اسماعيل وافق في ان يعيش معه في القاهرة ولكن لا يعمل خارج البيت فقرر حليم ان يأكل من عرق جبينه فبدأ يغسل ملابسه وملابس اخيه ويكنس البيت حتى لا يشعر انه عالة حتي علي اخيه...

بعد تسلم عبد الحليم وظيفته في وزارة التربية والتعليم كمدرس اخذ اول مرتب وجرى الى علية اخته واطلق لها حرية التصرف في هذا المرتب واكتفي بأن يشتري اول بدلة وحذاء وشراب وكل ذلك كان بالتقسيط...

× لم ينس عبد الحليم ان يعزم صديقه الذي طالما عزمه ولم يتحرج منه لقربه من قلبه انه كمال الطويل عزمه عبد الحليم على ساندويش فول من اول مرتب له.

× في صيف١٩٥١ بدأت تربط عبد الحليم صداقة قوية بكمال الطويل ومجدي العمروسي والموجي الذين شجعوه على الغناء وقبض أول عربون لحفلة ينظمها رجل اسمه المعلم صديق ولكن الاخير أصر على ان يغني حليم أغاني عبد الوهاب ولكن حليم رفض بعد ان صرف الجنيهات الخمسة وكان عليه ان يرد العربون الى المعلم صديق فاضطر ان يقترض الجنيهات الخمسة من تحية كاريوكا وكانت هذه هي المرة الأولي التي يطلب فيها حليم فلوسا من احد...

× موقف آخر لعبد الحليم مع الفلوس فعندما ذهب الي عبد الوهاب في فيلته قال له انا عايزك تسمعني ان بغني فما كان من عبد الوهاب الا ان اخرج مبلغا من المال ووضعه في يد عبد الحليم في هذه اللحظة صرخ عبد الحليم وقال انه اتى ليغني ولم يطلب فلوسا وخرج مسرعا واضعا يده علي وجهه وهو يبكي.

×وعندما تيسر به الحال لم تتغير فلسفته ونظرته الى المال وكان يكره الذين يعرضون حاجتهم للمال أمام الناس.

وكان يكره المداحين والمنافقين من اجل المال حتى انه يذكر في مذكراته انه كان هناك كاتب مغمور يملأ اذنيه بالمدح في الوقت الذي يقر فيه عبد الحليم صعوبة التمييز بين المدح والنفاق وقرر ان يتخلص من هذا الرجل الي الابد فسأله حليم عن المبلغ الذي يحلم ان يمتلكه في حياته فضحك الرجل وقال الف جنيه فأعطاه حليم الالف جنيه واشترى منه عشرين قصة لا تصلح اي منها لان تكون عملا سينمائيا محترما.

في الوقت نفسه عندما كان يطلب من احسان عبد القدوس قصة لا يناقشه في السعر حتى وان كان كبيرا لانه يرى ان المبالغ التي تدفع للكبار هي تكريم لأعمالهم.

× اما عن اول سيارة اشتراها عبد الحليم فكانت سيارة مرسيدس اقترحتها عليه حبيبته الاولى ليلي واتصل بمصنع مرسيدس في المانيا وطلب منهم مواصفات السيارة التي يريدها وفعلا وصلت السيارة مصر وركبها مع ليلى في منتصف الليل حتى لايراه احد.

× اما عن اكبر مبلغ امسكه عبد الحليم حسب روايته ففي اثناء العدوان الثلاثي على مصر كان عبد الحليم خارج البلاد يجمع التبرعات وسافر الي الكويت وعندما دخل مكتب الشيخ عبد الله المبارك اعطوه شيكا بمليون دينار وربع مليون دولار فكان هذا بمثابة اكبر مبلغ حمله حليم في ورقة صغيرة.

× كان عبد الحليم يهوى لعب الكوتشينة وينظر الى حسرة الخاسر وفرحة الفائز جلس عبد الحليم يشاهد صوفيا لورين وهي تلعب الورق ولاحظ غشها فقال لها عبد الحليم انا اول مرة سرقت فيها في طفولتي نعم فقد سرقت اختي علية حتى اشتري لها هدية عند ذلك بكت صوفيا لورين وقالت له وانا ايضا سرقت وانا صغيرة فقد كنت اسرق التفاح لاطعم اخوتي الصغار ودخلت في حوار فلسفي مع عبد الحليم.

× قالت له صوفيا انت الان صديق الملوك والزعماء ويغدقون عليك الاموال والهدايا فرد عليها حليم انا اناديهم باسمائهم دون ألقاب ليس قلة احترام مني ولكني اشعر بعذاباتهم وحاجتهم الى ان يسمعوا اسماءهم دون القاب كما اني لا اخذ منهم مقابل الغناء لهم هكذا كانت قيمة المال في حياة عبد الحليم فعلى الرغم من حرمانه في طفولته وشبابه ولكنه كان ينزل المال منزلة ادنى حتى في حالة امتلاكه وكان يحتقر كل من كان المال في حد ذاته هدفه الاسمى وغايته العليا.

توفي عبد الحليم يوم الاربعاء في٣٠ اذار ١٩٧٧ في لندن عن عمر يناهز الثمانية والاربعين عاما، والسبب الاساسي في وفاته هو الدم الملوث الذي نقل اليه حاملا معه التهابا كبديا فيروسيا فيروس سي الذي تعذر علاجه مع وجود تليف في الكبد ناتج عن اصابته بداء البلهارسيا منذ الصغر كما قد اوضح فحصه في لندن، ولم يكن لذلك المرض علاج وقتها وبينت بعض الاراء ان السبب المباشر في موته هو خدش المنظار الذي اوصل لأمعائه مما ادى الى النزف وقد حاول الاطباء منع النزف بوضع بالون ليبلعه لمنع تسرب الدم ولكن عبد الحليم مات ولم يستطع بلع البالون الطبي حزن الجمهور حزنا شديدا حتى ان بعض الفتيات من مصر انتحرن بعد معرفتهن بهذا الخبر. وقد تم تشييع جثمانه في جنازة مهيبة بلغ المشاركون فيها اكثر من٢٥٠ الف شخص.

نهاية العالم كما عرفناه

يتم اعتبار الصحافي الأميركي كين اوليتا من أوائل الذين أعطوا لمفهوم «طريق المعلومات السريع ؟ اوتوستراد المعلومات» بُعدا شعبيا. ذلك من خلال كتاباته الصحفية في «النيويوركر» واعتبارا من عام ١٩٩٢ عن شخصيات وشركات طغت في فضاء عصر الإعلام والمعلوماتية من أمثال بيل غيتس وروبرت موردوخ. وبعد أن قدّم عدة كتب عن عالم الإعلام ووسائله توّجها مؤخرا بكتاب: «مع غوغل، نهاية العالم كما عرفناه».

ويذكّر المؤلف أن الشعار الذي رفعه مؤسسو «غوغل» منذ البداية هو أن «لا يسبب» محرّك بحثهم «أي أذى» لأحد وأن يكون هدفه هو تقديم أكبر كمّ ممكن من المعلومات. لكن ما حصل في الواقع هو أن «غوغل» أصبح بالنسبة لغالبية مستخدمي شبكات الانترنت وسيلة مثالية للدعاية وللقيام بجميع أشكال المبادلات.

ويجيب المؤلف أن مؤسسي غوغل «كانوا معادين جدا لتطوير الدعاية والإعلان على الشبكة التي أرادوا لها، أو «زعموا أنهم يريدون لها»، أن تبقى «مجالا للحريّة». لكن الواقع يدل أن محرّك بحث «غوغل» أصبح «أحد عمالقة القرن الحادي والعشرين بفضل الدعاية». لكن هذا الامتداد الكبير والتعاظم على صعيد القوّة «خلق عددا كبيرا من الأعداء».

ويحدد المؤلف في رأس قائمة الأعداء أرباب صناعة الكتاب الورقي الذين وجدوا في مشروع «غوغل» القيام بنقل ملايين الكتب الورقية إل كتب رقمية. يكتب اوليتا: «إن غوغل عندما قرر نقل ملايين الكتب إلى لغة رقمية أثار غضب الكتّاب والناشرين الذين رأوا في هذا المشروع تهديدا مباشرا لحق الملكية الفكرية». كذلك يتم في نفس السياق طرح السؤال التالي: هل ينبغي أن تقوم شركة واحدة، أو مؤسسة واحدة، بتنفيذ مشروع جعل المعرفة بمتناول الجميع مباشرة ومجانا؟

وهناك محظور آخر يتم الحديث عنه في إطار نشاطات غوغل، ويخص عملية أرشفة المعطيات الشخصية الخاصة بمستخدمي الشبكة العنكبوتية، الأمر الذي أثار حفيظة كُثر ولاقى انتقادات لا تنتهي، لكن المؤلف يؤكد بهذا الصدد أن مسألة المعلومات الشخصية هذه لم يتعامل معها مسؤولو «غوغل» بخفّة، وينقل عن أحدهم أنه أسرّ له ما مفاده: «إن مسألة الحياة الشخصية الخاصة هي بمثابة قنبلة ذريّة، ونجاحنا يعتمد أصلا على الثقة».

ويرى المؤلف أن غياب هذه الثقة من قبل أغلبية مستخدمي شبكات الانترنت يعني بصورة آلية أن المخزون الإعلاني الهائل وما يدرّه من أقوال طائلة سوف يتبخّر. وتبخّره يعني بالتالي انهيار البناء كله. وبهذا المعنى أيضا يتم تشبيه غوغل أنه «عملاق أرجله من فخّار». بل وأن «أحد الأشياء النادرة التي لا يستطيع المرء أن يجدها في غوغل يتمثل في مستقبل غوغل نفسه».

ويحدد المؤلف القول أن هناك مؤسسات ومشاريع تصنع الأمواج وأخرى «تركب» على هذه الأمواج أو أن هذه تُغرقها. ويشير إلى أنه راقب عن قرب الكيفية التي «تتشكّل» فيها الأمواج ثم «تنكسر» في عالم وسائل الإعلام التقليدية من الصحف والمجلات إلى الكتب والتلفزيون والسينما، ووصولا إلى ميكروسوفت.

وهو يحاول في هذا الكتاب أن يشرح كيف أن مؤسسي «غوغل» والقائمون عليه بمختلف مستوياتهم يناضلون «من أجل أن تبقى رؤوسهم فوق الماء».

ذلك أن المؤلف يقدم بالوقت نفسه العديد من البراهين أن هذه «الصناعة» تمرّ بفترة من الاضطراب وإننا لسنا بعيدين عن «نهاية عالم غوغل كما عرفناه».

وبالوقت نفسه ينظر الكثير من القائمين على عالم الصحف والتلفزة والنشر وبقية وسائل الإعلام إلى غوغل كـ«خطر على حياتهم». هذا لا سيما وأن الهدف الواضح لغوغل ليس أقل من «غزو العالم».

ثم إن «غوغل» و«الموجة الرقمية» غيّرا أيضا من معالم العالم كما عرفناه، عالم وسائل الإعلام التقليدية، ولم تعد هناك حاجة في الإعلام الرقمي للمطابع العملاقة وما تجلبه من تلوث للبيئة وما تتطلبه من شاحنات كبيرة لتوزيع ما تنتجه.

ولم تعد عملية بيع المثلجات و«البوشار» في قاعات السينما تعوّض خسارة «تحميل الأفلام إلكترونيا». باختصار خلق «غوغل» بدائل كثيرة. لكن «غوغل» يقدم نفسه على أنه «شركة إعلامية». ويشير المؤلف بأشكال مختلفة إلى لقاءاته العديدة مع مؤسسي شركة «غوغل» ومسؤوليها.

ويقول إن «لاري بليج» أحد مؤسسيها و«اريك شميت» رئيسها أخبراه أنهما ناقشا مسألة شراء صحيفة «نيويورك تايمز»، وقررا في النهاية أنه إذا نجحا في ذلك سوف «ينسفان» هوية مؤسستهم كـ «محرّك للبحث»، ومن هذا الموقع تتعلق مصداقيته بتقديم المعلومات الصحيحة وليس التحليلات.

لكن هناك بعض المحاولات للاهتمام بـ «المضمون» وليس بالمعلومة فقط كما يبدو من خلال موقعي «يوتوب» و«كنول» و«ويكيبيديا». ويصل المؤلف إلى القول إن الاتجاه الغالب في غوغل هو الاحتفاظ بموقعها كـ «سويسرا المعلومات»، بمعنى البقاء «حيادية» دون التدخّل في مضمون المعلومات.

بكل الحالات ما يتم تأكيده هو أنه ليست هناك مؤسسة في التاريخ تطوّرت بسرعة «غوغل» وسرعة هائلة بجمع الأموال وسرعة هائلة في الانتشار إذ وصل مستخدمو شبكاتها إلى الملايين يوميا بعد فترة قليلة من قيامها عام ١٩٩٨.

وكان لها تأثيرها الحاسم على عوالم الإعلان والتلفزيون والصحف والهاتف والنشر.

ومن وجهة نظر تكنولوجية واقتصادية، لا شك

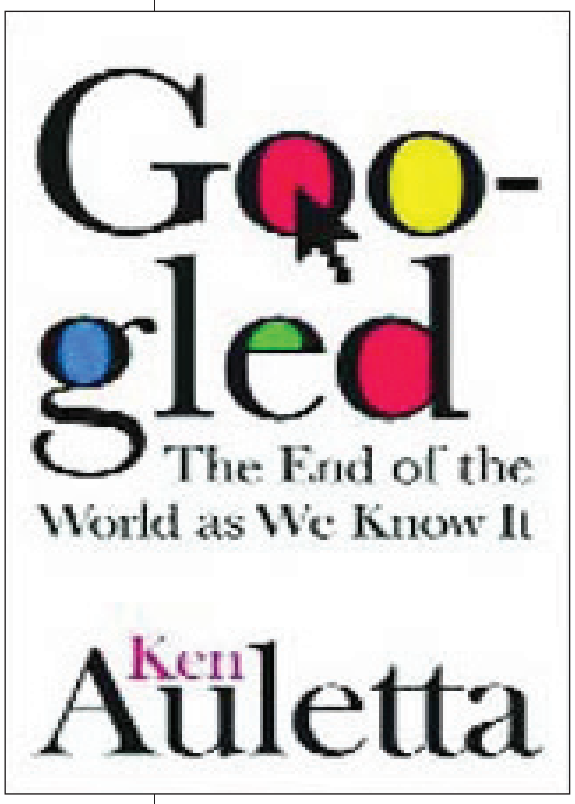

أن «محرك بحث غوغل» هو أحد «عجائب العالم» اليوم.

الكتاب: مع غوغل: نهاية العالم كما عرفناه
تأليف: كين اوليتا
الناشر: بنغوان برس لندن٢٠٠٩

الرومانتيكيون الشباب بوهيميون ..يتصرفون بشكل سيئ

ترجمة: عمار كاظم محمد

كان الناس مفتونين بحياة الكتاب قبل بدايات عام ١٨٠٠ ، لكن الافتتان الحديث بحياة الكتاب وبالخصوص مع فكرة مجموعة من المواهب الشابة غير العادية الذين يجتمعون مع بعضهم في بعض الاماكن التي تروقهم قد بدأت .

فاذا كنت مبتلى بفكرة مجموعة بلومزبري ، او باريس في العشرينيات او جيل البيتس فانت على المدى الطويل واقع بمجموعة من الشعر او كتاب المقالات او الموسيقيين او الفنانين . وقد كتبت ديزي كتابها الجديد " الرومانتيكيون الشباب " عن هذه المجموعة وعن الحياة المتشابكة للجيل الاعظم في الشعر الانكليزي فقد وضعوا نمطا كان كل الذين اتوا من بعدهم مجرد تنويعات على مواضيعهم . يركز الرومانتيكيون الشباب على نوعين من العوائل المعقدة احداهما شهيرة والثانية قد تم نسيانها تقريبا ، الاولى مجموعة العائلة التي تحيط بالشاعر بيرسي بيرش شللي وزوجته ماري شللي مؤلفة "فرانكشتاين " واختها من امها كلير كليرمونت والثانية تعود لصحفي وناقد وشاعر يدعى لي هنت والذي قضى سنتين في السجن لانتقاده الوصي على العرش وكان هناك شاعران كبيران في هذه المجموعة هما اللورد بايرون وجون كيتس اللذان دخلا في هذه القصة ايضا على الرغم من ان بايرون قد لعب دورا اكبر من كيتس الذي كان يمتلك احساس البقاء بعيدا عن المآزق التي كانت تقع فيها المجموعة .

هذا الجيل الثاني من الشعراء الرومانتيكيين " بعد ان تمت قيادة هذه المجموعة من قبل وليام وردزورث وصاموئيل تايلور كلوردج في التسعينيات من اعوام ١٧٩٠ " شكلت افكارنا المعاصرة عن الابداع والمباديء الاخلاقية بشكل كبير جدا بحيث ان من الآمن القول اننا لانستطيع تجاوزهم .

لقد اصبح من التقليدي ان ندعوهم الهيبيين الاوائل او نجوم الروك الشهيرين فاولئك الرجال والنساء قد عرفوا ماذا يعني ان تكون فنانا في العصر الحديث وبطوليا اذا اصرت شخصية واحدة على البقاء صادقة لعبقريتها في عالم قاس وفاسد .

توضح لنا المؤلفة انها كانت تأمل في كتابها " الشعراء الرومانتيكيون " ان تذهب ابعد من صورة الشاعر الوحيد المنعزل من اجل ان تعيد صياغة العلاقات الى مركزية القصة الرومانتيكية . وفي هذا فهي تحاول ان تنقح بشجاعة الصورة التي رسمها الرومانتيكيون لأنفسهم وفي نفس الوقت توصل شغفنا الطويل بفكرة جماعة الارواح الحرة المتألقة الملهمة والمفتونة ببعضها البعض بواسطة نسيج الصداقات وشؤون الحب والضغائن .

ان قوة كتاب "الرومانتيكيون الشباب" تكمن في منظور المؤلفة وليس في موضوع عملها . لقد تاق هانت وشيللي دائما لتكوين جماعات ادبية مضادة ووجهوا طعنات واثقة بل كان هانت على التضاد يتفاعل مع الصدى المدوي الذي سيكون مجدا ، فهانت كان مالكا مشاركا في التحرير ومستشارا رئيسيا في صحيفة تحررية تدعى ، The Examiner ففي تلك الايام بوجود المال الكافي والاصدقاء الاوفياء كانت زنزانة السجن يمكن ان تجهز براحة فقد كان لهانت غرفة جميلة بورق الحائط المليء بالزهور وحديقة خاصة في وسط السجن بينما كان حجزه وتصرفه المبديء تجاهة جعله بطلا لليسار ذي العقلية الاصلاحية وقد كتب اعمدة مؤثرة حول السياسة الاوربية مما جعل من زنزانته مكان استقبال لسيل من الزوار والرعاة البارزين .

ولم يكن احد يصدق هذه الرؤية بحماس مثل شيللي ، نصيرا ارستوقراطيا من الراديكالية والحب الحر والذي طرد من اكسفورد بسبب نظرته الالحادية . لقد كان مستشاره في هذه المعتقدات الفيلسوف السياسي ويليام غودوين الذي احبط تعاطفه معه بسبب هرب شيللي مع ابنته ماري البالغة من العمر ١٦ عاما في سنة ١٨١٤ (فقد كان لشيللي زوجة وعشيقة حبلى في ذات الوقت) تلك العلاقة اللا اخلاقية جعلت من حياة الشابين في انكلترا او في اي مكان استقرار آخر صعبة لكن في النهاية بعد ان انتحرت زوجة شيللي الاولى تزوج من ماري وقد وصفت ماري جهود الشاعر لصياغة جمعيات الاصدقاء ذوي العقول المتشابهة في الرأي وبضمنهم بايرون في عدة مدن ايطالية .

كان المال والجنس عادة ما يتآمرا لأحباط مثل هذه الخطط او انهائها بوقت قصير وكان فقر هانت يدفع اصدقاءه المثارين للقروض . كان يمكن ان يكون شيللي وهانت عديمي الاحساس بالنسبة للنساء في حياتهما فكلير كليرمونت هي اكثر النساء التي عانت من دعوة شيللي حول مشاعية الجنس فقد كانت علاقتها به غامضة في احسن الاحوال وحملت من بايرون طفلة غير شرعية تولعت بها لكنها اخذت منها وماتت بعمر الرابعة في دير ويستمر كتاب الرومانتكيون الشباب ليصل بنا الى سنة ١٨٢٢ حينما غرق شيللي في حادث زورق فقد كان كصدمة علمت ماري شيللي التي هربت الى اوروبا مع شاعر كبير وكتبت رواية مؤثرة ودفنت ثلاثة اطفال بقي رابعهم فقط الى سن الرشد ثم فقدت خليلها كل ذلك وهي بعمر ٢٥ سنة فقط.

عن موقع : الصالون الادبي

ثلاثية تروتسكي .. مرثية لأحلام الثورة

نيل اتشرسون

حظيت أعمال «إسحق دوتشر» عن حياة «تروتسكي» Trotsky، باهتمام جيلين: الجيل المعاصر له، والجيل الذي خلفه، وهي تعد ـ بحق ـ من أفضل الأعمال في مجال السيرة الذاتية. صدر المجلد الأول في عام 1954، بعد وفاة «ستالين» بفترة قصيرة. وظهر المجلد الأخير في عام 1963، وقت أن كان «الاتحاد السوفيتي» لا يزال يبدو قويا واثقا، وكانت الآمال لا تزال قائمة (ليس عند اليسار فحسب) في إمكانية أن يأتي اليوم الذي تتخذ فيه إصلاحات تؤدي إلى تحقيق الرؤية السوفيتية للاشتراكية الديمقراطية. اليوم تغيرت الأحوال. لكن الجيلين كانا على حق سواء فيما يتعلق بـ «الاتحاد السوفيتي» أو بكتابات دوتشر عن حياة تروتسكي، التي أعادت «دار فيرسو» «البريطانية» نشرها في ثلاثة مجلدات، تجعل قارئ اليوم يقف أمام هوة عميقة محدقا في تغيرات عمرها أكثر من 40 عامًا.

يرى دوتشر التاريخ من منظور مغاير تحكمه معايير تختلف عن تلك التي تحكم منظمة العفو الدولية. كل شيء عنده يقاس في ضوء الدافع الثوري. والسؤال الأهم لديه هو: هل ساعد هذا التوجه، أو تلك الفكرة، على إنجاز الثورة أم جرفها بعيدًا عن هدفها الحقيقي؟ لقد تحلى دوتشر بإيمان راسخ في قيمة الهدف النهائي الذي كثيرًا ما عبر عنه تروتسكي وقال، وهو في منفاه السيبيري وكان عمره وقتها ٢٢ عامًا: «سأظل أناضل من أجل المستقبل طالما بقيت حيا. هذا المستقبل المشرق الذي يصبح فيه الإنسان قويا قادرًا على التحكم في تيار التاريخ وتوجيهه إلى آفاق لا محدودة للجمال والفرح والسعادة».

هكذا تحولت سيرة تروتسكي، بين يدي دوتشر، إلى رواية ملحمية للصراع من أجل روح الثورة، ومن أجل تعهدها بوضع نهاية لعصور الفقر والعوز، وبدء ألفية جديدة لحرية وسيادة كل البشر. وهكذا ظل دوتشر يعتقد في استمرارية هذا الصراع حتي بعد سقوط وموت بطله، وإلى أن يأتي اليوم الذي ينهض فيه نفر من ثوار روسيا الجدد لإنقاذ «أكتوبر» من مستنقع الاستبداد والاستغلال الذي قادها إليه ستالين. ولإعطاء ماركسيته هذه نكهة عالمية، لم تكن مفاجأة أن يصور دوتشر تروتسكي وكأنه «بروميثوس (٢) يخوض الصعاب من أجل مستقبل البشرية، وليس مجرد ممثل في دراما سياسية روسية. ويكاد العمود الفقري «للثلاثية» أن يكون مرافعة أخلاقية عن تروتسكي، رغم أن دوتشر لم يكن «تروتسكيا» بل كان ثوريا ماركسيا مستقلاً، طرد من الحزب الشيوعي البولندي في عام ١٩٣٢ لانتقاده ستالين (وكان محظوظًا إذ أن ستالين، وبعد طرده بسنوات قليلة، دعا جميع قادة الحزب البولندي إلى موسكو وأعدمهم رميا بالرصاص). لم يلتق دوتشر، تروتسكي، في حياته. ولم يتفق معه في كثير من سياساته، لكنه كان يري فيه التجسيد التام لاعتقاده الراسخ أن الاستبداد «الستاليني» لم يكن الشكل الممكن الوحيد للثورة الماركسية: «لقد اعتبرت تروتسكي ـ بالفعل ـ أحد أبرز القادة الثوريين، في كل العصور، كمناضل ومفكر وشهيد. لقد بذلت قصاري جهدي كي أنصف شخصية البطل في تروتسكي، والتي لم أجد ما يناظرها في التاريخ. لكنني صورته أيضًا في الكثير من لحظات حيرته وارتباكه، مثل «تيتان» Titan (٣) وهو يترنح ويجفل ويتحصن، ثم يخرج لكي يلقي مصيره». لقد حلق دوتشر بعيدًا وهو يتحدث عن معاملة تروتسكي الضارية لأعداء الثورة، وقت أن كان قائدًا للجيش الأحمر، ويقول: «حتى في هذه المرحلة كان الاشتراكي الحر حاضرًا داخله. وفي معظم أفعاله القاسية وكلماته الحادة، كان توهجه الإنساني الدافئ يميزه عن معظم فارضي النظام والانضباط». هل كان الأمر كذلك؟ وهل شعر بهذا الدفء هؤلاء الذين واجهوا فصائل الإعدام؟

لم يتفق دوتشر، مع تروتسكي، في مقت ستالين والتابعين له فحسب، بل اتفقا أيضًا في التحليل النهائي للوضع القائم في الاتحاد السوفيتي خلال الثلاثينيات، وأن الثورة قد أدت إلى وجود «دولة ممسوخة للعمال»، وأن هدفها المتمثل في إزالة سلطة رأس المال وإلغاء الملكية الخاضعة لوسائل الإنتاج، ظل بكرًا «لم يمس» في ظل ديكتاتورية بيروقراطية في البنية الفوقية، ورقابة وإرهاب دولة. رغم ذلك، ظل دوتشر، وإلى أن رحل في عام ١٩٦٧، متفائلاً بشأن مستقبل الاتحاد السوفيتي. ومثله مثل تروتسكي رفض التسليم بأن الستالينية كانت ـ ببساطة ـ شكلاً من أشكال الدولة الرأسمالية، ولمنفعة طبقة مُستغلة جديدة. لكنه اختلف معه فيما يتعلق بـ«واجب الدفاع عن الدولة السوفيتية، حتي وإن كانت دولة ستالين».

وعندما أكد تروتسكي أن غزو ستالين لأراض أجنبية (مثل شرق بولندا عام ١٩٣٩) يجب الترحيب به باعتباره «هدفًا تحرريا» وأن الغزاة «الغوا الملكية الخاصة»، وجد دوتشر أن موقف تروتسكي يفتقد المنطق والاتساق

استلهم دوتشر عناوين ثلاثية السيرة الذاتية لتروتسكي من ميكافيللي الذي لاحظ ـ وكان مخطئًا ـ أن «المسلحين من الأنبياء هزموا، والعزل منهم دمروا». وقد أشار ميكافيللي أيضًا إلى الطبائع المتباينة البشر و«قد يكون من السهل إقناعهم ولكن من الصعب الإبقاء عليهم في حالة اقتناع دائمة. ومن الضروري اتخاذ إجراءات تدفعهم إلى الإيمان إذا فتر إيمانهم». هنا تكمن المعضلة الأخلاقية التي واجهت الثورة البلشفية المنتصرة، والتي لم يجد تروتسكي حلاً لها. الأمر هنا لا يتعلق بـ «الوسائل والغايات»، فحسب، لأن البشر «الطبقة العاملة» لم يكن عليهم مجرد الطاعة، بل كان عليهم ـ أيضًا ـ أن يؤمنوا. وعندما فتر الإيمان كان لابد من إعادة تصنيعه في صيغة حزب يزعم أنه يمثل البروليتاريا، التي لا تستطيع الحفاظ على السلطة إلا بالديكتاتورية.

كان تروتسكي أحد أوائل الثوار الذين عارضوا مثل هذا «التمثيل النيابي». وقد حذر منذ عام ١٩٠٤ من «أن الحزب إذا فوض نفسه لتمثيل الطبقة العاملة فإن منظمة الحزب سوف تفوض نفسها عن الحزب ككل. ثم تفوض اللجنة المركزية نفسها عن المنظمة ثم ينتهي الحال إلى أن ديكتاتورًا واحدًا يفوض نفسه عن اللجنة المركزية». بعض هذه التنبؤات تحقق بدقة مذهلة. لكن تروتسكي نفسه ساهم في تحقيقها. وبعد الثورة، بعام واحد ـ تقريبًا ـ تبني مبدأ أن الحزب يجب أن ينوب عن البروليتاريا وقت الأزمات. وفي عام ١٩٢٣، وهو يدافع عن الديمقراطية البروليتارية ضد السلطة الثلاثية بقيادة ستالين، غير ما تبناه وعاد إلى موقفه القديم. لكنه ـ وقتها ـ كان متورطًا إلى درجة لم يتمكن معها من التعبير عن رأيه بشكل حاسم. والواضح أن التزام تروتسكي بالحزب البلشفي كان التزامًا ثابتًا؟. وربما يكون الرجل الذي قاد «المناشفة»(٤)، في يوم من الأيام، قد خانه حماسه «الديمقراطي». وفي عام ١٩٩٤ وصلت «رومانسية الالتزام» إلى درجة جعلته يبلغ المؤتمر الثالث عشر للحزب بأن «المرء لا يستطيع أن يكون على حق إلا داخل الحزب، وعبر الحزب. ولا يوجد سبيل آخر لتحقيق الاستقامة».

في «النبي المسلح» ـ المجلد الأول ـ يتناول دوتشر صعود تروتسكي وتألقه، منذ مولده عام ١٨٧٩، لعائلة يهودية بالقرب من أوديسا، وإلى وصوله إلى قمة النفوذ والتأثير مع نهاية الحرب الأهلية في عام ١٩٢٠. يصف انطلاقته كمحرض اشتراكي في المدن الأوكرانية، وتخرجه في السجن، والمنفي السيبيري، وهروبه والتحاقه بلينين في لندن. وقتها، وبعد توهج الصراع السياسي في المهجر، عاد إلى روسيا الثائرة في عام ١٩٠٥، حيث أصبح رئيس مجلس نواب العمال البلشفي في بطرسبرج. وبعد دورة جديدة في السجن والمنفي، وهروب إلى الغرب وإقامة معظم الوقت في فيينا، وإلى وقت اندلاع الحرب، ثم أعادته «ثورة فبراير» إلى النشاط الثوري مرة أخرى، حيث سعى إلى دفع مجالس السوفييت «المحليات الحزبية» باتجاه العصيان المسلح الثاني، الذي جاء بالبلاشفة إلى السلطة. وكمفوض للشؤون الخارجية، توجه إلى «بريست ليتوفسك» وأدهش العالم بوقفه للحرب ـ من جانب واحد ـ مع ألمانيا. وكمفوض لشئون الحرب، أسس وقاد الجيش الأحمر الذي واجه وشتت «الجيوش البيضاء» والقوات الأجنبية المتحالفة.

وإذا كان لينين، بصلابته وصرامته، هو جذع «محور عربة» الثورة، فإن تروتسكي كان هو

عربتها الهادرة. وفي ذاك العصر البطولي، كشف عن مجموعة من المواهب قل أن توجد ـ مجتمعة ـ في شخص واحد. كان منظمًا فذًا لديه القدرة على إحلال الانضباط محل كل بلبلة أو ارتباك، وخطيبًا بارعًا يستطيع الاستحواذ على انتباه وتعاطف الآلاف، وأديبًا مفكرًا لا تزال كتاباته، في الثقافة والتاريخ والفلسفة والسياسة والعلوم العسكرية، محتفظة بجدتها وتألقها. وكان قائدًا عسكريا نادر الوجود، جمع ما بين براعة السيطرة على سير المعارك وتحريك القوات في الحرب، والقدرة على رفع معنويات الجنود واستنهاض هممهم. بشخصيته الفاتنة الساحرة. وفي بلد آخر، فإن رجلاً له مثل هذه المواهب ما كان لأحد أن يقف في طريقه إذا ما حلم بامتطاء الجواد الأبيض والوصول إلى قمة السلطة. لكن تروتسكي لم يكن يعتبر راكبي الخيول البيض أضحوكة فجة فحسب، بل كان يبدو، أيضًا، وكأنه لم يفكر أبدًا في «السياسة» كوسيلة إلى سلطة شخصية. وكان كثير الشك، شديد الإدانة، عندما وجد أن بعض زملائه يفعل ذلك. هذا الموقف قد يكشف عن نزاهته الثورية والتزامه بالديمقراطية، لكنه يكشف أيضًا عن نقاط ضعفه، وعن حيرة حقيقية عاشها وبدت معها كل قدراته الإبداعية «خارج الخدمة» وخاصة عندما توسل إليه زملاء الحزب أن ينضم إلى هذا الفريق أو ذاك في الصراع على خلافة لينين.

يصور «النبي المسلح» تروتسكي وكأنه «كوريولَنْس» Coriolanus(٥). وفي «النبي الأعزل» ـ المجلد الثاني ـ نراه وقد تحول إلى هاملت(٦). ولم يكن «نبيا» متوافقًا. كان، وعلى صعيد الشؤون الدولية، صاحب بصيرة مدهشة. توقع، وقبل أن تقع الأحداث، صعود الفاشية الأوروبية واندلاع حرب عالمية ثانية، وهجوم ألمانيا النازية على الاتحاد السوفيتي. لكنه أخطأ عندما ظن أن المد الثوري سوف يستمر ويصل إلى أوروبا الغربية، إضافة إلى أوروبا الشرقية، وأن ما حدث في أعقاب الحرب العالمية الأولى يمكن أن يحدث في أعقاب الثانية. يكمن خطأ التقدير هنا في تمسكه بنظرية «الثورة الدائمة» التي تجسد، إلى اليوم، ماهية التروتسكية.

بهذه النظرية تحدي تروتسكي «القوانين الحديدية للتطور التاريخي» حسب مفهوم الماركسية «التقليدية» الأرثوذكسية، وهي القوانين التي تقول بأن «الثورة البورجوازية» لابد أن تسبق «ثورة البروليتاريا» وفي روسيا، التي لم تخض، بعد، ثورة بورجوازية ـ مثل فرنسا، ألمانيا وبريطانيا، تصبح الثورة الاشتراكية فيها مستبعدة. وبعبارة أخري، وحسب وجهة نظر الماركسيين «التقليديين»، لا يمكن للاشتراكية أن تتحقق إلا في مجتمع متطور ومزدهر، وأن الفشل هو مصيرها إذا ما طبقت في مجتمع زراعي متخلف يفتقد إلى طبقة عمالية حقيقية تكون قاعدة طبيعية للاشتراكية.

كان لينين، ومعه تروتسكي، على دراية تامة بالمعضلة. لكن تروتسكي لم يحتمل التنازل عن رؤية حلمه «روسيا الاشتراكية» يتحقق في حياته، ووجد في نظرية «الثورة الدائمة» إمكانية إسقاط المرحلتين في مرحلة واحدة: ثورة للطبقة الوسطي تطيح بالأوتوقراطية، ثم تأتي جماهير البروليتاريا، وحزبها، للانتقال بها ـ مباشرة ـ إلى الاشتراكية عبر تحالف العمال والفلاحين (الذي يتحقق بالإصلاح الزراعي كان تروتسكي ـ في القلب ـ ماركسيا تقليديا. ورأي أن هذا «الهجين الروسي الفريد» لن يصمد طويلاً، وقد تطيح به ثورة مضادة، أو يتحول (كما حدث) إلى قلعة معزولة يحكمها الخوف. لكنه، وفي إطار إيمانه بنظريته في «الثورة الدائمة» رأي أيضًا أن هذا «الهجين» يمكن أن يقاوم إذا هبت الطبقة العاملة العالمية إلى إنقاذه. لقد أقنع تروتسكي نفسه بأن هذا على وشك أن يحدث. وفي أوقات من عام ١٩١٧، أقنع لينين أيضًا بأن «هذا على وشك أن يحدث. وبعد وقت طويل من فقد معظم رفاقه الأمل، وتسليمهم بوجهة نظر ستالين عن «اشتراكية في دولة واحدة» ظل تروتسكي، المهزوم والمنفي، يبحث عن مؤشرات تفيد بأن الثورة الدائمة على وشك أن تجتاح العالم وتنقذ الاتحاد السوفيتي من العزلة والديكتاتورية. كانت النظرية مترابطة. لكن تقديرها لـ «نضالية الطبقة العاملة الأوروبية» لم يكن في محله. وبدا الأمر وكأن لا بديل عن «الاشتراكية في بلد واحد». وفي منتصف العشرينيات أحكم ستالين قبضته على الحزب وتحول تروتسكي ـ ببطء ـ إلى المعارضة. كان مكرمًا، «لكنه أدار أمور نفسه برداءة منقطعة النظير، وأضاع الكثير من الفرص: فشل في الإجهاز على ستالين، المكشوفة مساوئه في عام ١٩٢٤. وأساء إلى حلفائه عندما طالب بتسخير العمال، وبالضغط على الفلاحين، من أجل زيادة الإنتاج. التزم الصمت عندما طالب ٤٦ عضوًا من الحزب برفع الحظر المفروض على التجمعات داخل أروقة الحزب. وفشل أيضًا، داخل اللجنة المركزية، في معارضة إعاقة تنفيذ وصية لينين وما تضمنته من أحكام فاضحة لستالين. وعندما انفرط عقد القيادة الثلاثية، في عام ١٩٢٥، وحاول زينو فييف وكيمانييف تنحية ستالين، بدا تروتسكي وكأن في الأمر مفاجأة أذهلته، رغم أن التحضير لهذه الخطوة، والتحريض عليها، ارتكز إلى ما أقره هو من مبادئ. وفي المؤتمر الرابع عشر، عندما أصبحت «ديمقراطية الحزب المهددة» قضية مطروحة بحماس، للمرة الأولى والأخيرة، ظل تروتسكي على صمته. وفي الحلقة الأخيرة من الصراع ضد ستالين، ما بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٢٧، أصاب تروتسكي أتباعه بالشلل التام بأن عارض أي تحالف مع بوخارين ضد ستالين، على أساس أن الأول كان من أنصار الملكية الزراعية. هذه السلبية تظل نقطة غامضة في حياة تروتسكي، أوصلته هو، والمعارضة، إلى خاتمة وطريق مسدود تحركت فيه الأحداث ببطء باتجاه الأبعاد والترحيل: في ١٩٢٧ إلى «ألما آتا» Alma Ata في كازخستان، والطرد إلى استنبول «تركيا» في عام ١٩٢٩. وفي الفترة الحرجة (١٩٢٤ ـ ١٩٢٧) بدا تروتسكي وكأنه هاملت، وليس أحد أبرز شخصيات التاريخ. وقد يكمن السبب في انفصام مرضي أو في غطرسة المثقف الذي يرفض التنافس مع من يعتبرهم ـ في سريرة نفسه ـ أدني منه. ومن المؤكد أنه كان مغرورًا. والمثال ـ المضحك ـ على ذلك أنه جلس مرة يقرأ رواية فرنسية ما بين اجتماعات اللجنة المركزية ولم ينتبه إلى نظرات الاستياء من حوله. وكذلك وصفه للاشتراكيين الأمريكيين بأنهم مجموعة من «البابتيين» Babbitts(٧) «الذين يكملون أنشطتهم التجارية بتأملات باهتة أيام الآحاد، في سبيل مستقبل الإنسانية». وقال عن أحد قادتهم أنه «المتحدث الاشتراكي المثالي لأطباء الأسنان الناجحين». كما أن فظاظته المتقاعسة إزاء ستالين حولت النفور إلى حقد قاتل. وقد أبلغه مرة، على الملأ، بأنه «حفار قبر الثورة».

يرصد «النبي المشرد» ـ المجلد الثالث ـ سنوات النفي إلى جزيرة برتكيبون قرب استنبول، ومنها توالي الرحيل: إلى الدانمارك ثم فرنسا ثم النرويج، إلى أن عرض عليه، وعلى زوجته، اللجوء السياسي في المكسيك عام ١٩٣٧. هناك، وبعد ثلاثة أعوام لاحقة، أقدم «رامون ميركادير» على طعنه بأداة حادة وأرداه قتيلاً. ويمكن البدء ـ عند قراءة الثلاثية ـ بالمجلد الثالث وذلك لسببين: الأول يكمن في بنائه المأساوي المحكم والتصوير البديع لحالة التيه القريبة من تيه «لير. والسبب الثاني يكمن في أن تروتسكي، وفي فترة التيه هذه، أيقظ العالم بإدانته الصارخة لمحاكمات موسكو، ووصف ما جري فيها بأنه محض جنون وافتراء. وهي أيضًا الفترة التي كتب فيها أفضل ما يذكر من كتبه، وفي مقدمتها «حياتي» و«خيانة الثورة». كما أصبح لديه الوقت ـ كما يبين دوتشر ـ لكي يطور من أفكاره ومفاهيمه.

إنها ـ باختصار ـ الفترة التي يصبح فيها المرء أكثر اقترابًا من تروتسكي، من تفكيره، ومن شخصيته، كانت مرحلة «القصور التام» أيضًا: في الوطن، تفسخت المعارضة بعد عام ١٩٢٨ عندما تبني ستالين ـ فجأة ـ مطالبها فيما يتعلق بالتصنيع وسيطرة الدولة على الزراعة. وخلال أقل من ثلاث سنوات نفذ حكم الإعدام في الآلاف من معارضيه، في الوقت الذي كانت فيه محاكمات موسكو «تزيل القناع عن المخربين الفاشيين ومن ورائهم الخائن تروتسكي».

أما في الخارج فقد فشل تروتسكي في إنقاذ «وحدة الشيوعية الدولية» المناهضة للنازية، ولم يفعل شيئًا لوقف التناحر بين فريق مسانديه الذي تمكن عملاء ستالين من اختراق صفوفه، وصفوف الدوائر القريبة من تروتسكي، وربما من قتل ابنه المخلص، ليف سيدوف، بالسم، في عام ١٩٣٨. وعندما قتل هو في عام ١٩٤٠، كان قادة الغرب، الذين فتنوا به وفزعوا منه، لا يذكرون شيئًا عنه. تحفل «ثلاثية تروتسكي» بلحظات غير عادية لفرحة الجذل بالحياة: وهو يصطاد ـ بسعادة ـ غزالة في الجبال القريبة من «ألما آتا»، أو وهو يجمع الصبار في صحراء المكسيك. وهو يرتدي سترة ريفية فرنسية زرقاء اللون وتنعكس ظلال هيئته بحدة فوق الصخور والهواء يعبث بشعر رأسه الأشيب، أو وهو يستجمع كل طاقته لكي يتعلم كيف يرمي الشباك، على يد صياد شاب في بحر مرمرة. كان رجلاً نادرًا وأستاذ قلم وسيف. وعكس رفاقه، كان تروتسكي يفهم الثورة ليس باعتبارها مهمة بناء بل كان يراها حركة متدفقة وطويلة: «الطريق من ما قبل التاريخ إلى قلب التاريخ» و«القفزة الكبري من الحاجة إلى الحرية». ولم يبق منه الآن غير الكتب باعتبارها «شهود عيان» على عصره. أما الاتحاد السوفيتي، سواء الممسوخ أو المُرَهَمْ، فقد ذهب وذهبت معه الثورة البلشفية.

london review of book

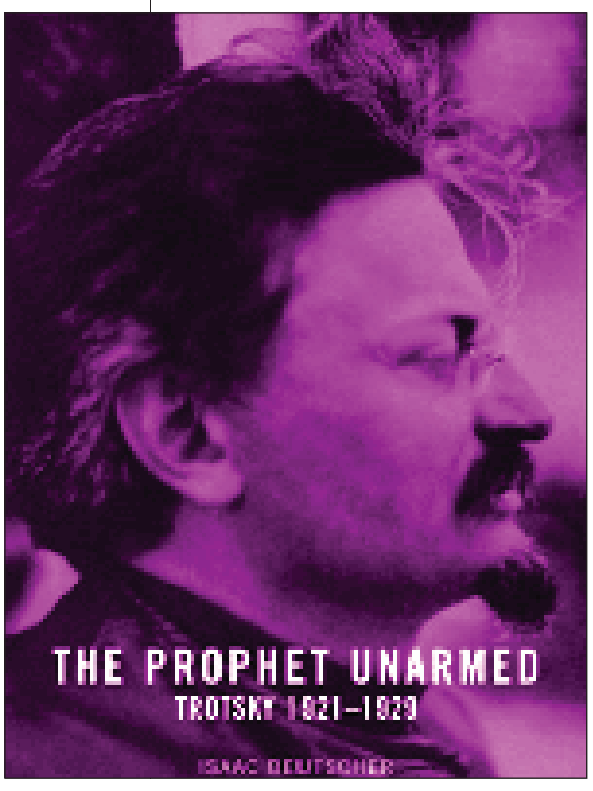

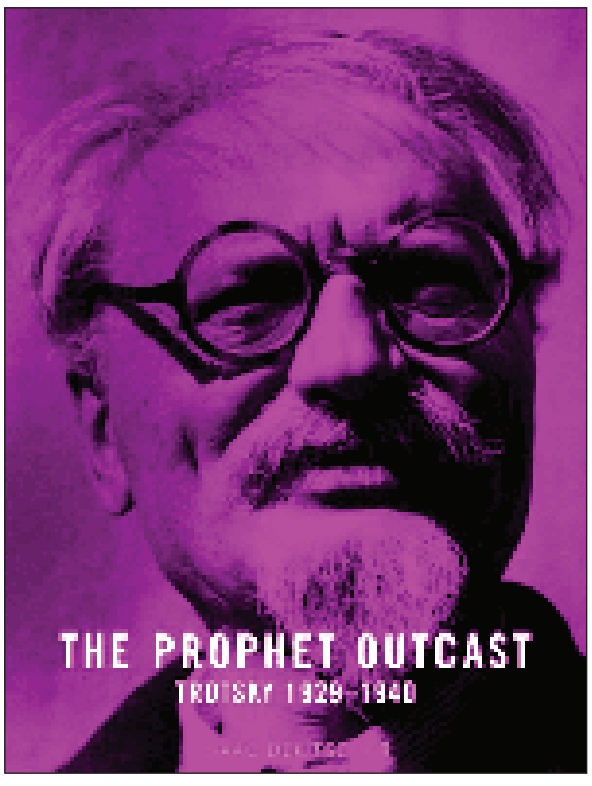

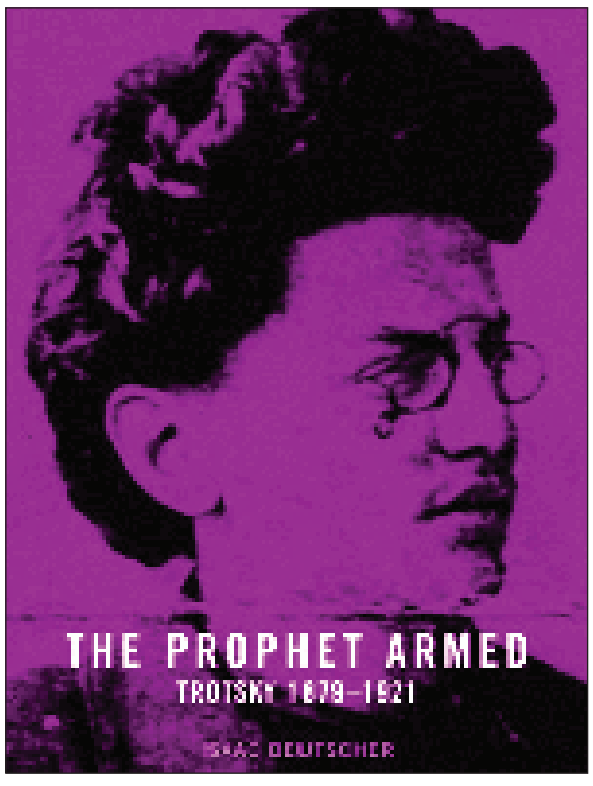

أوراق
العدد (1820)السنة السابعة -الاحد (13)
حزيران 2010

المؤلفون وورثتهم .. حرب لن تنتهي

أندريه جيد يكره أسرته .. وأكزوبري مات فقيراً

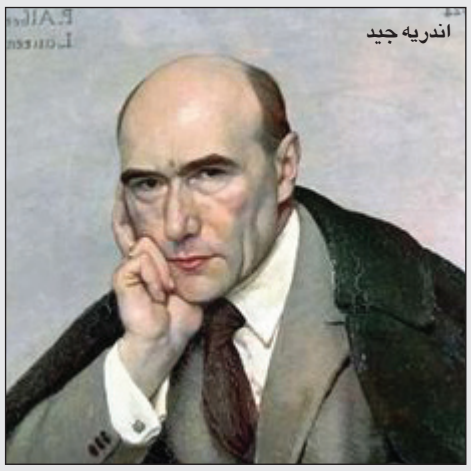
اندريه جيد

أكزوبري

هناك جملة شهيرة للروائي الفرنسي «اندريه جيد» تقول «أيتها الأسرة إني أكرهك»، ذلك على خلفية نظره للأسرة كـ«مؤسسة للقمع» بمعنى ما.

ومن هذه الجملة بالتحديد استوحى المحامي والكاتب الفرنسي ايمانويل بييرا، المختص بمسائل الملكية الفكرية، عنوان كتابه الأخير، مع استخدامه لكلمة «الأسرة» بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد، ذلك كتعبير عن «جشع الأسر». ويقصد بالتحديد الأسر «وريثة المؤلفين»، كما جاء في العنوان الفرعي للكتاب.إن المؤلف المحامي يقدّم في هذا الكتاب توصيفا لسلوكيات ورثة الكتاب الكبير فيما يتعلق بالملكية الفكرية للمبدعين بعد رحيلهم ولحقّ الانتفاع بمخطوطاتهم «غير المنشورة».ولا يتردد في القول أن الأمر ينتهي في أغلب الأحيان باللجوء إلى المحاكم من أجل تصفية خلافات تتعلق بأموال الملكية الفكرية الموروثة من مبدعين ومفكرين كانوا قد شغلوا العالم بما قدّموه أو حتى ساهموا في تغيير مجرى التاريخ. ومن الزاوية القانونية يغدو أقرباء الكتّاب الكبار هم ورثتهم الشرعيون.

والإرث الذي يتركه الفنانون والكتّاب والفلاسفة تعود مسائل تسييره وإدارته لهؤلاء الورثة. لكن هؤلاء ينظرون في أحيان كثيرة لهذا الإرث على أنه «سلعة».

وهـؤلاء الـورثـة، والأسـر الـوريـثـة، بمفردها أو بتشكيل نوع من «العشيرة» التي يستفيد أفرادها ب«نصيب» من الإرث، هم الذين يرسم المؤلف صورتهم.وما يؤكده أن همّهم الأكبر في جميع الحالات تقريبا، والاستثناءات تثبت القاعدة ولا تنفيها، هو اقتسام الموارد دون النظر إلى ما كان يريده المبدع-المنتج من عمله، بل لا يترددون غالبا في إعاقة البحث إذا أراد البعض القيام به.

إن «الحكايات» التي يرويها المؤلف عن الحالات التي يدرسها تتسم كلها، كما يعبّر، بكونها شبيهة بـالـروايات البوليسية الـزاخـرة بـ«الطعنات في الظهر» و«المثول أمام المحاكم» و«النهش المتبادل من أجل المال». هذا مع الإشارة إلى أن ظاهرة اللجوء إلى المحاكم «تعاظمت» في العقود الأخيرة قياسا للفترات السابقة. وبكل الحالات عندما «يرحل الرجل العظيم» يغدو الوريث هو بالوقت نفسه «الرقيب والمسؤول عن تسيير آلة جلب الأموال».

إن المؤلف يستعرض في الجزء الأكبر من الكتاب ما حلّ بإرث عدد كبير من المبدعين وما عرفه ورثته من إشكاليات ونزاعات فيما بينهم ومع الآخرين هكذا مثلا تدور اليوم «حرب» حقيقية بين ورثة مخترعي شخصية «استيريكس» الشهيرة في فرنسا وبين ناشري سلاسلها الطويلة.

وفي حالة «تانتان» لا يتردد ورثة مبدع هذه الشخصية «هيرجيه» بتقديم شكوى للمحاكم ضد كل من يتصرّف ب«حقوق الملكية الفكرية» الموروثة.

وإذا كان انطوان دو سانت اكزوبيري قد عاش طوال حياته في حالة ضنك مالي كبير، فإن روايته الشهيرة «الأمير الصغير» تدرّ اليوم أموالا طائلة.

ذلك أنه أحد أكثر الكتب رواجا حتى الآن في العالم إلى جانب «الإنجيل»، كما يشير المؤلف. وهناك بعد المؤلف «فئتان» تتعارضان.

الأولى يمثّلها أحفاد الكاتب الكبير، والثانية ممثلة بخوسيه مارتينيز فروكتيوزو، السكرتير الخاص لكوتسويلو، أرملة سانت اكزوبيري.

أحفاد الكاتب رفعوا دعوى للقضاء ضد السكرتير الخاص لزوجته الذي يتهمونه بنشر «رسائل حب الكاتب لكونسويلو».

ويشير الكاتب أن أكثر ما يثير الصدمة في هذا الموضوع هناك المفارقة بين الخطاب عن الطبيعة الإنسانية العميقة في كتابات سانت اكزوبيري وبين أجواء المنافسات والحقد بين القائمين على إدارة إرثه الفكري.

ومن الأمثلة التي يتعرّض لها المؤلف إرث «جيمس جويس» حيث أن الجميع ينتظرون عام ٢٠١٢ حيث «ستصبح الحقوق الفكرية لمؤلف اوليس ملكية عامة»، الأمر الذي يعني أن حفيده «ستيفن» الذي يستغل «سلطته الأخلاقية» كوريث للكاتب الكبير كي يفرض «هيمنة» ويمنع القيام بأي عمل لا يوافق عليه بشكل «تعسفي» ودون أية حجج مقنعة، وحيث: «قرر أنه لا يمكن المساس بأعمال جدّه بدونه. ووصل به الأمر إلى محاولة منع معرض في المكتبة الوطنية بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لولادة جويس».

وكانت «ماريا كودامـا» طالبة عند جورج لويس بورخيس، ثم أصبحت مساعدته وهو الضرير وانتهى الأمر بزواجها منه قبل ثلاثة أشهر من وفاته عام ١٩٨٦ وحيث أعلنها «وريثته بشكل كامل».

وإذا كانت قد ساهمت كثيرا في نشر أدب زوجها في مختلف أنحاء العالم فإنها ظهرت في غاية «التشدد» حيال كل من «يمس» هذا العمل. وهكذا دخلت في صراعات مع ناشريه وأوقفت نشر سلسلة «بلياد» الفرنسية الشهيرة لأعماله بعد المجلّد الثاني.

ولا يبدو أن الحرب ستتوقف.

ويرى المؤلف أنه من المدهش أن لا يترك الفيلسوف ميشيل فوكو أي «أثر مكتوب» حول إرثه الفكري عندما عرف أنه مصاب بمرض قاتل. وهناك جدل كبير حول هذا الإرث خاصة أنه نُقل عن الفيلسوف قوله أن «لا نشر لأعماله بعد وفاته».

ويصل المؤلف في المحصلة إلى القول أن أولئك «الكبار» لم يفكروا أبدا أن ورثتهم سوف «يتقاتلون» بعد موتهم «من أجل حفنة من المال». والكل يعرف أن نشر «أعمال غير منشورة» لمبدعين كبار يشكل اليوم «صناعة رائجة ورابحة جدا».

الكتاب: جشع الأسر، ورثة المؤلفين
تأليف: ايمانويل بييرا
الناشر: هويبيك باريس ٢٠١٠

أرتور رامبو.. واثاره الشعرية

ياسين طه حافظ

صدر هذا العمل الادبي الفخم، عن "آفاق" و "دار الجمل" بـ ٦٦٨ صفحة نظيفة من الاخطاء ومن وضر الطباعة. وهو الطبعة الثانية، طبعة تستحق الاحتفاء بها، كما يستحق "شغيل الشعر" صديقنا كاظم جهاد، عناق المحبة وامتنان العَطِشين الى الكتابات المتكاملة المُتْقَنَة.

تكاملت هذه الطبعة، فيسّرت التعريف والسيرة والآراء في الشاعر والقصائد، كما احتفت بحيادية طيبة عن اختلاف الرؤى في أعمال الشاعر و اجتهادات التأويل.

في هذا المؤلَّف ، لن تحتاج الى كبير عون إن اردت تقرأ رامبو. فقد توفر لترجمة قصائده ما يُعينك على قراءتها شرط ان تقرأه جيداً كما تتفحص الدقائق بمجهر.

وانت تقرأ هذه الترجمة تبهجك القدرة الفائقة لمترجمها على النفاذ، وبايجاز لم نألفه، الى ابعد اسرار القصيدة ذلك الايجاز المقابل الامين والكفء للايجاز الرامبوي. كما ان هناك ايجازا آخر في التعقيب والكشف ينقذ قراءة القصيدة من الاسهاب في التفاصيل، والتمحّل او التعالم في الشرح. هكذا يظل النص الشعري محترماً ومصونا مما لا ضرورة له ومما يضبّب صفاءه، فيضر من بعد باشراقة النص وبالمتعة. عرف كاظم كيف يحيط النص بما ينفعه، أيضاً بما يحميه !

بايجاز اقول: علمية الهوامش وقدرتها المركزة على الكشف ابانت جهدا متخصصا، جهد مثقف عليم. قد يكون كتاب ارتور رامبو "الآثار الشعرية" هو ثاني كتاب مترجم، متقن العمل، متكامل وعلمي بعد ترجمة الكوميديا الالهية للاستاذ المرحوم د. حسن عثمان عن الايطالية.

لا أخفيكم اني فارقت كاظم جهاد وهو بعد شاب بدأ قول الشعر، واراه الآن استاذاً يعرف الحرفة والمعنى، يعرف كيف هو البحث وكيف يُستنطق النص إن غمض مضمونه. فَرِحُ انا وأعلي الثناء على هذا العمل الكبير الفخم لانه ما نحتاجَ اليه ولانه صنع انعطافة من الترجمات السريعة والنتف المُعادة ترجمتها مصحوبة بادعاءات الفهم، الى العمل الاكاديمي

الرصين والمتمكن. هو اعطى للمكتبات الادبية في بلاد العرب ثروةً! ما يريح القارئ المتخصص لهذه الترجمة أيضاً، هو هذا التوازن في التعقيب والتأويل. وهو امتياز لا يتيسّر لكل من بحثَ أو ترجم. فالمترجم حتى في لحظات اشتباك الاشارات لا يلغي بعضها بتعالٍ ولا يشتطّ، وتلك لعمري فضيلة باحثين.

لا اخفيكم ايضا، وعذرا لكاظم، فقد كان الهجر طويلاً، انني فوجئت بمدى التمكن اللغوي لديه وبثراء معجمه العربي وقدرته على اقتناص المفردة الكفء حتى شعرت انني امام متخصص طويل العمر في التراث العربي.

فهو مغتنٍ بمعجم قديم جديد هو ما يحتاج له المترجم عادة في مواجهة نصوص متقنة شديدة الايجاز تجمع تعابيرها مفردات قديمة جديدة واخرى محوّرةً بقصدية فنية، قد تنقلها أداة تعريف، او صيغة، من معنى الى معنى.

ونحن امام جهدٍ متميّز مثل هذا الجهد الفائق، نحس بواجب القول ان الشاعرَ المترجم احسن اختياره فهو مدرك جيد للمزايا العظيمة في الكتابات ويعرف ان العرب ما يزالون بحاجة لان يتعلموا كتابة الشعر من دون ان يغضبوا الحضارة!

خاتمة للكلام اقول: لقد حقق كاظم جهاد مجداً أدبياً أحييه عليه عن بُعْد بانتظار الاحتفاء به وهو يحمل شرف انتصاره، قادماً من معمعان صعب، هو ذلك الذي خرج منه كثيرون بشارات مزيفة، تحتفي بهم المجالس الخاصة ولا تبالي بهم، اذ تعرف حقيقتهم المكتبات!

هنيئاً لك يا "كاظم" الشرف! كنت مجيداً ومحترماً وتركت شارة تحمل اسمك في الطريق.

سيماء كتاب

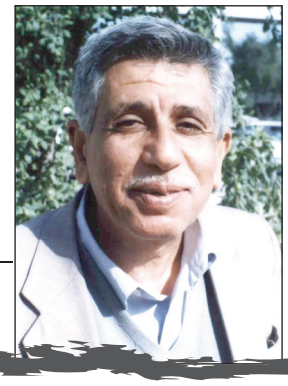

محمد خضير

يروى عن الشاعر المتنبي انه كان واقفاً في دكان وراق بالكوفة، حين احضر رجل كتابا من كتب الاصمعي في نحو ثلاثين ورقة لبيعه، فأخذه المتنبي ونظر فيه طويلاً حتى حفظه.. ولما استبطأ الرجل كتابه واستبعد ان يحفظه المتنبي في ظلة الدكان، تلاه الشاعر عن اخره على مسامعه ، فأعجب صاحب الكتاب بمحافظة المتنبي وأهداه اليه ولم يبعه. كانت ذاكرة المتنبي ركنا من ذاكرة سوق استوعبت علامات الاف الكتب والاسفار التي كان الخزنة والتجار يبحثون عنها ليضموها الى ذاكرة خزانة اكبر، او ليوزعها على ذاكرات اسواق تتردد في اروقتها ارجاع من مزادات لاتهدأ أصواتها.

تعرف سوق الكتب اليوم في بغداد بسوق المتنبي.. وتقع في موقع سوق الوراقين القديم في محلة باب الطاق بجانب الرصافة الشرقي من نهر دجلة، متفرعة من اسواق الحي التجاري الرئيس واشهرها سوق الثلاثاء واسواق الصاغة والعطور والمنسوجات والاساكفة، والمنظر لم يتغير كثيرا اليوم في بغداد عقدة الاسواق، ونهاية المآرب، ومجمع المصادر المتكلمة والصامتة، ومثال النفاسة، ومبذل الاموال لشراء امهات الكتب فقد كانت ايضا سوق الكساد والضياع والعطالة في اوقات الحاجة والحرب والوباء والفيضان والمصادرة مثل غيرها من اسواق الكتب، اشترى ابن سينا كتاب (مابعد الطبيعة) من دلال في سوق الوراقين، بثمن بخس قدره ثلاثة دراهم، وحضر العلامة سراج الدين البلقيني مزاداً للكتب في وقت الطاعون فاشترى (مسند) الامام احمد بن حنبل بثلاثين درهما، وممن بيعت كتبهم بعد وفاتهم ثعلب النحوي وابن القيم الجوزية وقاضي قرطبة ابن المطرف.. وروى القفطي والمقريزي روايتين عن تداول الكتب في ايام عزها وذلها.. فالاول حضر مزاداً في سوق مصر وراى الناس يتزاحمون على شراء الكتاب اذا كان مخطوطاً بقلم نساخ مجود بدعى (النجيرمي) اما الثاني فروى عن شاهد عيان المصير المؤلم الذي انتهت اليه مكتبة الفاطميين العظيمة وقد طرحت مجلداتها فوق تلة فتناهب الجند والدهماء جلودها ليعملوا منها سروجا ونعالا، فيما استولى الدلالون، على انفسها، وذابت بقيتها في خزانات المكتبات الخاصة.

بين مصائر متناقضة شتى لمطابع الكتب وخزائنها، وعقب نوائب عديدة هدمت المكتبات التجارية الكبرى في شارع المتنبي، نشأت سوق لبيع الكتب تعرض على جانبيها ما تبقى من هذه المكتبات، تبلغ أوجها في يوم الجمعة، وتجدد مصادرها من الكتب المصورة على اجهزة الاستنساخ ، خرج الكتاب من المكتبات الشائخة والذائبة والمنهوبة حاملاً معه علامات النسخ والطباعة والحيازة والتصنيف التي شكلت سيماءه الحافظة لنوعه المحرضة غريزة القارئ للبحث عنه واقتنائه..

لاتعوز "للقارئ المتجول" في سوق الكتب دوافع القراءة الحقة، كالبحث والتعرف والنقد، لكنه قد يلتفت الى نظام عرض المطبوعات وتناثرها بين الارصفة والاكشاك بفضول يفوق دوافع غيره من القراء.. ان بحث القارئ المتجول في حقيقته مقود بالاثار الرمزية التي طبعتها العلامة المميزة لدار النشر في ذاكرته القرائية.. فجعلت غريزة الكتاب اقوى غرائز التملك لديه.

وحين تدرك عوامل التآكل والفناء (الارضة، الحريق، السرقة ، التفسخ) خزانة هذا القارئ (الكتبي الخازن) فإن الوجود الرمزي للعلامة في فهارسه سيسهر على حماية كتابه من الزوال، ان أي كتاب ينمو وينتقل بالفيض السيميائي الذي يشع من طغرائه، علامته التي تحفظه في ذاكرة ابدية..

ان كتابا عن تاريخ الطباعة العربية (مثل كتاب الدكتور خليل صابات تاريخ الطباعة في المشرق العربي)، لابد لمؤلفه من ان يقرن مباهج الطباعة بترنيمات الرهبان (في مطباع الشرق الاولى) ونشوة تنضيد صفحة كتاب بأبخرة مسابك الحروف، وخبرة جيل من الطباعين والنقاشين بكفاح جيل من المؤلفين والمحققين، ولاشك ان غريزة القارئ تستدل على حياة كتاب من اقترانه بالعلامات الظاهرة التي تتصدره وتعلن عن هوية ناشريه، أي اقترانه بسيمائه التي تخلده.

تفرش المطبعة والمكتبة والمعرض الامتداد البصري المتصل للكتاب. وبين هذه المراكز تدرج الذاكرة الانسانية، من المهد الى اللحد.. يولد الكتاب في المطبعة، ويشب في سوق الكتب ويكتهل في المكتبة، قبل ان يبلى ويذوي في الفهارس، فتكتمل النسخة العظمى لكتاب الحليفة الطباعية بين مشرقين ومغربين لايكفان عن التكرار الا ان هناك من يعتقد بأن الكتاب العظيم لا يبلى ولا يلحد، وانما هو ينسخ في كتاب اخر، وتتحول علاماته الطباعية المميزة الى رموز هولوغرافية (ثلاثية الابعاد) في مراكو اتصال الخيمة الالكترونية الكونية، غير ان قولنا هنا يتمسك بعلامات الكتاب ثنائية الابعاد المستظهرة من المحفورات الحجرية والمعدنية وسطوح الاسطوانات الدوارة والصور الملس باعتبارها مجسات الاتصال الطباعي اللامركزي، الممتد من الجهاز العصبي المركزي للانسان، في مفهوم (مارشال ماكلوهان) عن وسائل الاتصال، كما نتمسك بعلامات كتاب واحد لابن سينا (النسخة الرعاقية) سنأتي على وصفها.

يتصل الكتاب بقارئه ويحثه على اقتنائه بعلامات تغريه وتستثير غريزيته القرائية فالبحث عن كتاب معروض في سوق الكتب وشرؤه غريزة توجهها علامات الكتاب التي تميز طباعته، ومادته وتحفظ نوعه تلك هي علامات السلاسل الشهيرة التي استمدت صورتها من الهلال، كما استمدتها من تمثال الكاتب المصري، ومنارة الاسكندرية ومصباح علاء الدين ومصباح ديوجين، وكرة بطليموس واسطرلاب الجغرافيين العرب، وطغروات الجاحظ والفارابي وابن رشد وابن سينا وابن خلدون ، اننا نلاحظ في "الفهرست" الجديد كوكبة هائلة للعلامات التي نقلت الكتاب من المنسخ الثيوقراطي الى الورشة الصناعية الحديثة، بجهود مشتركة من رجال طباعة وناشري كتب عرفوا بالقاب (الكتبي) و(الخانجي) و(الخازن) انعشوا تقاليد الورشة الطباعية الحجرية وانتجوا منها العلامات الاولى التي تصدرت الكتب التي طبعوها وهي العلامات التي ميزت الكتاب المنسوخ من الكتاب المطبوع، ودار النشر من بيت النساخة، ومعرض الكتاب من سوق الوراقة، والمكتبة من الخزانة ، سأواصل هنا خطوات ارباب صناعة الكتاب وخزنته، فأبحث في اثرهم عن سيماء الكتاب التي تتحكم في تصنيفه وتجنيسه وكوكبة استعمالاته، أي العلامات التي ترسم مساره، ان عدد هؤلاء الارباب اكبر ن ان يحصى، واكتفى بالاحالة على المصادر التاريخية لنشوء الطباعة العربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في مؤلفات شيخو وجرجي زيدان وروفائيل بطي وخليل صابات وفيليب طرزي، والاشارة الى الطبقة الثانية من المفهرسين الذين اعقبوا ابن النديم والتهانوي وحاجي خليفة.. وهنا ستبقى خارج اهتمامي مصادر حديثة استخلصت العلامات التي تسم كتب عصرنا، عصر الانفجار الطباعي الالكتروني.

تبين الببليوغرافيات الوطنية، وقوائم دور النشر وفهارس المكتبات، والمواقع الالكترونية التنوع الكبير لعلامات الكتاب التي تكتنف موضوعه وتحدد جنسه، وتختار رقمه التصنيفي او موضوعه الطبولوجي في عالم التداول القرائي ، وبعد ان يصنف الكتاب ويقيم موضوعه ، يطلق في مجاله المغرفي المديد حتى يصيبه البلى وتحل مرحلة انزوائه، حينئذ تعمل علامته (ترسيمته) التي ولد بها على نسخ وجوده المحدود (المصنف) بوجود سيميائي لايبلى ان كتابا مثل (القانون في الطب) لابن سينا طبع اصلاً في مطبعة (طبوغرافيا دي ميديتشي) بروما، سيكرر وجوده النسخي بطبعات تالية، وفهارس خاصة تفرده مع الكتب النادرة، وقدره الا يصنف أو يقيد الا بعلامات وجوده الاصلية.

تعد طبعة روما من (القانون) عام ١٥٩٣ اول طبعة لكتاب باللغة العربية اجمالا، تلتها طبعة ثانية في طهران عام ١٨٥٧ ، وطبعة ثالثة في مطبعة بولاق بمصر عام ١٨٧٧ ، ومن طبعة بولاق صورت (مكتبة المثنى) ببغداد نسخة لها بطريقة الاوفسيت، مع مئتي كتاب من نوادر المطبوعات العربية كانت مطابع اوروبا ومصر ولبنان قد اظهرت اصولها في فجر عصر الطباعة العربية كانت مكتبة المثنى اشهر مكتبات سوق الكتب في شارع المتنبي، التي كانت تضم ثماني مكتبات اهلية تجارية اخرى، اقدمها (المكتبة العصرية) التي أسسها محمود حلمي عام ١٩١٤ ، خلدت مكتبة المثنى مشروعها الاحيائي لخزانة المطبوعات النادرة في فهرس تذكاري ضم اغلفة الكتب المصورة المئتين، صدر عام ١٩٧١، وفي نهاية عام ١٩٩٩ التهمت النيران هذه المكتبة بما فيها من كتب اصلية ومصورة ، ولم يبق ما يدل على صنيعها العظيم سوى الفهرس الذي احتفظ بصورة غلاف كتاب ابن سينا (القانون).

كانت النسخة الاصلية من كتاب (القانون في الطب) المطبوعة في روما، محفوظة في المكتبة الوطنية ببغداد، داخل خزانة خاصة، اضافة الى نسخة بولاق، كان تصوير (القانون) شؤماً على مكتبة المثنى كما كان تأليف كتاب ابن سينا هذا شؤماً على مكتبة بخارى التي استقى بن سينا منها علوم الطب والفلسفة.. ويقال ان ابن سينا عمد الى حرق هذه المكتبة ليستأثر بعلومها، لنفسه ويطمس مصادر تآليفه ، وبعد دخول قوات التحالف بغداد في ٩ نيسان، ابريل عام ٢٠٠٣، لحق الشؤم المكتبة الوطنية العراقية فنهبت عن آخرها وأحرقت كتبها، واختفت النسخة الاصلية النادرة من كتاب (القانون) في العاصفة المدمرة.

مررنا بقصة كتاب ابن سينا كي نتتبع السيماء الخاصة التي وسمت أثراً عظيماً، ونفرد له وحده وضعاً طبولوجياً خاصاً في كتب الفهارس.. وربما تشير حكايات اخر عن فهرسة اشعار المتنبي ، وتعدد شروح ديوانه، وتفرقها بين مكتبات العالم، الى صعوبة هذا العمل المحفوف بالالغاز، فللكتاب العظيم حياة خفية موزعة على الذاكرات ، تحاول الفهارس عبثاً ان تظهرها أو تحصرها في أرقام وحيازات.

أوراق
العدد (1820)السنة السابعة -الاحد (13)
حزيران 2010

"حصيلة الأيام" مذكرات تجيب على سؤال الليندي في الحياة

إيزابيل تبوح حد الألم .. حد التعري

علي عبدالسادة

تسنح لنا فرصة ذهبية في الدخول الى عوالم سرية في حياة إيزابيل الليندي. ففي مذكراتها تجيد صناعة امرين؛ ربما يكون الاول هو ان العمل المعنون "حصيلة الايام" لا يبدو كثيرا انه ينتمي الى أدب السير والمذكرات؛ وكأن الليندي تقترف فيه رواية عن لحظة تاريخية بكل تفاصيلها، تستند، أساسا، الى مقطع تاريخي للعائلة. وهي نفسها، في النهاية، جزء منها. كباعث للثيمة الاساسية للحكاية. الليندي تناولت مذكراتها كحكاية مكتملة تمتلك جميع عناصر الاثارة والتشويق. اما الامر الثاني فيبدو لنا واضحا حين تتسرب من تلك الـ"الحصيلة" مواقف ومشاهدات الليندي عن أثرها الأدبي، تنطلق بعفوية سلسة، دون تكلف، في التحدث عن كائناتها السردية. حصيلة أيام إيزابيل .. هو ما قدمته لأبنائها والعالم لتحل به الكثير من التساؤلات حول حياتها وماكتبت، وهو شهادة حياة امرأة وقفت أمام قسوة القدر بشجاعة، هنا في هذه الحصيلة تبوح الروائية البارعة حد الالم .. حد التعري والتطهر. لقد "تعرت" ودائرة الحياة الاقرب اليها – العائلة – امام القارئ، وكان ذلك امرا شاقا بالنسبة لها.

ذكاء إيزابيل

بدت كذلك حين تحسم امام القارئ الذي يعرفها عبر اعمالها المذهلة وحسب، وكان من المتوقع ان تكون مذكراتها تنحصر، على تلك الاعمال فقط، بيد انها تقدم مبررا ذكيا لغزارة حصيلة ايامها بعديد المشاهدات والمحطات.. الليندي تستهل هذا التبرير، ان صح القول، بتأكيدها حضور "الدراما" في عموم حياتها وان لديها فائضا من "السيرك" للكتابة عنه.

كما انها تمهد تلك الايام المشغولة بهموم الادب، كما كنا نتوقع، عبر لقطات فيها الكثير من الوجدان:يروقني اعتكاف الشتاء الاضطراري... انني اعيش وسط هضاب مذهبة في الصيف وذات لون زمردي في الشتاء.

وبينما يظن القارئ ان الليندي تتلذذ في اصطياد لحظاتها "الجميلة" تبدأ، رويدا رويدا، في تأثيث فضاءات الكتابة:"يحتاج كل واحد منها الى الاحساس بالاخر في هذا الحيز غير الملموس الذي هو لنا وحدنا. فجر بارد، قهوة مع خبز محمص، وقت الكتابة، كلبة تحرك ذيلها ... لا يمكن للحياة ان تكون أفضل من ذلك".

وتختم هذه "الحيلة" التبريرية لكتابة المذكرات بدعوة الناشرة كارمن بالثيس لكتابتها:

–اكتبي مذكراتك يا أيزابيل.

–لقد كتبتها، ألا تتذكرين؟

–تلك كانت منذ ثلاث عشرة سنة.

–أسرتي لا تحب نفسها معروضة امام الملأ.

–لا تهتمي بشيء. أرسلي لي رسالة من مئتين او ثلاثمئة صفحة وانا سأتولى ما سوى ذلك، واذا كان لابد من الاختيار بين كتابة قصة او اغضاب الاقارب فاي كاتب محترف سيختار الخيار الاول.

–أأنت متأكدة؟

–متأكدة تماما.

لمسات على "باولا"

كانت الصدمة الأعظم في حياة أيندي حتى الآن وفاة ابنتها باولا في ١٩٩٣ عن عمر عشرين عاماً بعد دخولها في غيبوبة بسبب مضاعفات مرض البورفيريا، تقول أيندي: "أخذوا ابنتي شابة حية بحالة جيدة، وأعادوها جثة هامدة..".

كانت تأثيرات وفاة باولا على أمها شديدة، لكن أيندي كانت طوال حياتها امرأة قوية، فحولت ألمها إلى كتاب جميل استعادت فيه طفولتها وذكرياتها، اسمته باولا على اسم ابنتها، وخصصت ريعه لدعم مراكز علاج السرطان.

في هذه الحصيلة تمر ايزابيل على باولا وكتابها عنها، كانت تضع اللمسات الاخيرة على كتابها "باولا".. وقد تطلبت الصفحات الاخيرة الكثيرة من الجهد، فالكتاب ينتهي بموت الام. مثل هذا الحديث يعرفه المشتغلون في فن الرواية، يعرفون جيدا كيف هو مخاض الخلق والحياة في عوالم الاخرين وذواتهم، ان تصل للنهاية المرسومة بالموت عليك الاستعداد جيدا، انها استنفار للمفردات وتحضير متقن للبراعة الاسلوبية. الليندي أدخلتنا في هذه "المعمعة": لا يمكن ان تكون نهاية اخرى، بيد انني لم اتذكر تلك الليلة الطويلة جيدا، اذ كان يلفها الضباب كنت اعتقد ان غرفتكِ – وكانت تقصد الام – امتلأت بالناس.

وعند الانتهاء من الكتاب ادركت ايزابيل انها قطعت طريقا من العذاب ووصلت ا خيرا نقية عارية. حين تدون هذه العبارة تتماهى، بشكل رائع مع حالة الكتابة الحقيقية، ذلك الفعل اللذيذ في التطهر الانساني. وتعبر عن ذلك حين تقول ان تشوش سنوات العذاب انقشع من امام ناظريها.

ايزابيل ترسل كتابها الى ابطال القصة

ربما لان كتاب باولا، وهو عمل روائي بطلته ابنة ايزابيل، فان عددا من الشخصيات التي تلعب دورا في الاحداث حقيقون موجودون في الواقع، لذلك فان ايزابيل ترسل اليهم الكتاب قبل نشره. بدا لها انه من الواجب منحهم فرصة مراجعة ما كتب عنهم – ترى من يروقه ذلك او بالاحرى قلائل هم الادباء الذين يفعلون ذلك – وكما تقول ايزابيل لم يكونوا كثيرين غير ان ردة فعل امها كانت بالطريقة الاتية:"يمكن ان يتهموك بالاستعراضية او باستخدام هذه المأساة لكسب المال، فانت تعرفين سوء ظنون الناس".

الدين والارهاب

الى حد ما تعترف ايزابيل بانها لا تقتل وقتها في فك رموز السياسة في العالم، تتحدث عن جيسون، احد افراد الاسرة، وتقول انها مولع بمطالعة الصحف وكان او من سمعته يتحدث عن ما يربط الدين بالارهاب، وكان ذلك في العام ١٩٩٤ – لم يكن وقتا مبكرا في حياتها اليس كذلك – حتى ان هذه المذكرات لم تحفل بما يعني اهتماما ما لازابيل بالسياسة.

الليندي كانت تتحدث انه في العام اياه كانت اخبار رواندا تتواتر في الصحافة، انباء الابادة الجماعية مرعبة بالنسبة اليهاالى حد يصعب تصديقه:"اطفال يقتلون، حوامل تبقر بطونهن بضربات السكاكين لانتزاع الاجنة منها، أسرة بكاملها تثغتال، مئات الايتام الجائعين يهيمون على وجوههم في الدروب، قرى تحرق بكامل ساكنيها". قارئ هذه التوصيفات كان ينتظر من إيزابيلن مثلا، ان تكون احداث راوندا مدعاة لتذكر احداث تشيلي وما مرت به م كوارث خلفتها الصراعات على مدى عقود. بدت وكانها مفجوعة بشيء تسمع عنه أول مرة.

أيزابيل ايضا تتعرف على ما يدور في العالم من خلال قريبها جيسون الذي بات يشرح لها الامور والاحوال في مناطق مضطربة:"لقد شرح لنا حول العنف في البوسنة، وفي الشرق الادنى، وافريقيا، وعن تطرف طالبان في افغانستان وعن وقائع اخرى لا رابط بينها تسبب بينها الحقد العنصري او الديني على السواء".

لكنها، وفي مكان اخر من ذاكرتها، تذكر انفجار المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما. وتحدثت أيضاً عن أحداث ١١ ايلول وعن حالة الخوف والقلق التي نالت من الافراد من حولها، فيما ذكرًها مشهد الطائرتين اللتين اصطدمتا ببرج التجارة العالمي بمشهد طائرات العسكريين التي قصفت قصر لاموينيدا في تشيلي وقتلت سلفادور الليندي.

وبين كل ما عرجت عليه تظل الليندي تمر على السياسة مرور الكرام وتدخل في لمحات سريعة عبر عفوية لذيذة.

ولادة باولا

اذن تخرج "باولا" من المطابع في مدريد وسرعان ما تتلقف ايزابيل ردودا كثيرة:"لم تكن الساعات تكفي لترتيبها والرد عليها. اتلقى الرسائل من اناس متحمسين، واعرف مع ذلك انهم لم يكونوا مدعومين بالتعاطف مع كتبي. بعض تلك الرسائل كانت تتضمن طلبات، مثلما هي رسالة روائي لديه سبع عشرة رواية غير مطبوعة، يعرض علي بشهامة ان يتشارك معي ونتقاسم حقوق التأليف مناصفة".

الردود التي لم تكن تناقش ايزابيل حول ماقترفته من عمل ابداعي لم تنمع من ان تشكل "باولا" مصدرا مهما لشهرتها لقد اجتذبت، لاحقا، اهتمام الجمهور والصحافة اكثر من كتبها السابقة. قامت برحلات كثيرة واجرت مئات المقابلات، وقدمت عشرات

المحاضرات، ووقعت الاف الاوتوغرافات. تقول ايزابيل:"احدى النساء رغبت في ان اكتب لها اهداء على تسع نسخ من الكتاب، نسخة لكل صديقة من صديقاتها التي فقدت ابنا، وواحدة لها. فابنتها اصيبت بالشلل في حادث سيارة، وما ان تمكنت من الحركة على كرسي ذي عجلات، حتى القت بنفسها في المسبح. الم ومزيد من الالم".

بيت الأرواح

روايتها الاولى تحولت الى فيلم، وقد اعلن عنه بدعاية صاخبة لانه ضم نخبة من كبار النجوم: ميري ستريب، جيرمي ايرونس، غلين كلوز، فانيسيا ريدغريف، فينونا ريدير، وممثل ايزابيل المفضل انطونيو باندیراس.
وفي الحقيقة فان هذه الرواية شكلت ازمة عائلية بالنسبة لايزابيل، لانها وكما يقول اقاربها انها فضحت اسرار القبيلة، ففي تشيلي "يغسلون قذارة التاريخ داخل المنازل".
تقول ايزابيل انها لكي تكتب ذلك الكتاب اتخذت من جدها وبعض الاخوال، وشخصيات اخرى غريبة الاطوار من قبيلتها التشيلية كبيرة العدد واستخدمت لتضعهم في عالم مسرود حكايات سياسية.

رواية بيت الارواح نسخة ملتوية – كما تقول مؤلفتها – ومبالغ فيها للوقائع، جدتها لم تكن يوما قادرة على تحريك طاولة البلياردوا بافكارهان مثلما هي كلارا دل بايي، ولم يكن جدها مغتصب نساء وقائلا مثلما هو استيبان تروبيا في الرواية. هذه الرواية خلفت مقاطعة عائلية لايزابيل.
لكن الفيلم غير هذه النظرة واعاد الامور الى نصابها، فسلطة السينما مفحمة الى حد تحول الى تاريخ رسمي للاسرة. تقول ايزابيل:"علمت ان صور الممثلة ميريل ستريب والممثل جيرمي ايرونس قد حلت محل صور الجد".

ابنة الحظ

في مرورها على ابنة الحظ تعترف ايزابيل بموقفها من البطرياركية، اذ عدها النقاد في أوربا رمزا للنسوية، تقول:"إلزا تهرب من مشد التزمت الفيكتوري لتغوص، دون أي اعداد مسبق، في عالم ذكوري، حيث عليها ان تلبس كرجل كي تتمكن من البقاء، وفي أثناء ذلك تكتسب شيئا بالغ القيمة: الحرية.
المفارقة ان ثيمة ابنة الحظ لم تكن في حسبان ايزابيل حين شرعت بكاتبة العمل، لم تكن تفكر بهذه الحصيلة التي تنطوي على رفض واضح للمجتمع الذكوري، كانت تظن ان الموضوع يقتصر، ببساطة، على حمى الذهب، على تزاحم المغامرين وقطاع الطرق، والواعظين، والمومسات وصخبهم الذي كان في الاصل في نشوء سان فرانسيسكو.

ايام ايزابيل

هذه الحصيلة لم تكن مختلفة عن اعمال ايزابيل الاخرى، كل ماكتبه ايزابيلن على الاقل، يعتمد على خزين ذاكرتها وتاريخ العائلة. ونتيجة لترحال الأسرة الطويل، اختزنت إيزابيل الكثير من الحكايات، والتفاصيل الدقيقة، لتتحول هذه الخبرات الصغيرة إلى تفاصيل حميمية رائعة تشغل رواياتها، وتكسبها زخماً مميزاً.
كان أبوها توماس أيندي سفيرًا، انفصل عن والدتها عام ١٩٤٥ لتعود الأم بأطفالها الثلاثة وتستقر في تشيلي حتى ١٩٥٣، ثم انتقلت العائلة إلى بوليفيا، ومن ثم لبنان، حيث ارتادت أيندي المدرسة البريطانية الخاصة في بيروت، ومن ثم عادت إلى تشيلي عام ١٩٥٨ لتكمل تعليمها الثانوي، وهناك التقت زوجها الأول ميغيل فرياس الذي تزوجته في ١٩٦٢. في الفترة منذ ١٩٥٩ وحتى ١٩٦٥ عملت أيندي في منظمة الغذاء والزراعة التابعة للأمم المتحدة في سانتياغو، وفيما بعد في بروكسل، وأماكن أخرى في أوربا. عادت أيندي إلى تشيلي في ١٩٦٦، وبدأت مُنذ ١٩٦٧ العمل في هيئة تحرير مجلة باولا، ومن ثم مجلة مامباتو للأطفال. وُلدت ابنتها باولا في ١٩٦٣، وفي عام ١٩٦٦ وُلد ابنها نيكولاس.
وسم التنقل طفولة أيندي بطابع مميز، جعلها تحتفظ بذكريات مميزة عن رحلات خيالية ومُدن سحرية، كما أن زوج أمها الذي كان سفيراً أيضاً امتاز بالتعاطف والمحبة. و تذكر أيندي كتب ألف ليلة وليلة التي قرأتها في طفولتها، والتي كان زوج أمها يحتفظ بها في خزانة سحرية قديمة، جعلت خيال أيندي يتسع ليتحفظ بالتفاصيل الصغيرة، ويضفي عليها طابعاً سحرياً. كما أن ميراث الأسرة السياسي لم يغب كذلك عنها، ولم تغب تأثيراته في طفولتها التي تقول عنها أنها كانت وادعة جداً.

الكتاب: حصيلة الأيام
المؤلف:ايزابيل الليندي
المترجم:صالح علماني
الناشر: المدى

غوته.. شاعر ألمانيا الأعظم

يدرس كتاب «غوته..شاعر ألمانيا الاعظم»، لمؤلفه محمد سعيد الطريحي، والصادر عن دار نينوى-دمشق، حياة غوته بالتفصيل، حيث يطلعنا المؤلف على انه عانى مشاكل صحية كثيرة، فداهمه السلّ في كل حياته، لكنه أصر، رغم ذلك، على أن يكمل دراسته الحقوقية، فحصل على الإجازة الجامعية من كلية « ونيسلر – آن – ديرلاهن »، ثم ببلوغه السادسة والعشرين من العمر، أصبح مؤلفاً ذائع الصيت.
وناظماً لقصائد بارعة الجمال، ومن هذه المؤلفات كتابه « برلنكن» و« فرتر» وقطع من قصيدة «فاوست»، وبمرور الزمن فرّ إلى إيطاليا هربا من قصة حبّ كادت أن تحطم حياته، وهناك عادت إليه حياته مرّة أخرى، فكرّسها بعلاقة غير شرعية مع بائعة ورد، ولدت له عدّة أطفال.ويتابع المؤلف سرد تفاصيل دقيقة في معايشات وتجارب غوته الحياتية، فيعرفنا على انه اكتسب سمنة عندما بلغ من الكبر عتياً، فصار وجهه بديناً كئيباً، وخدوده متهدّلة، وعيناه سوداوان تشعّان بالروح مظللتان بظلال التعب، أمّا خشونته التي طالما كان يفتخر بالتظاهر والتباهي بها في شبابه، فقد اتخذت شكلاً واقعياً في سيماء الرجل العجوز.كما امتازت الفترة بين السبعين والثمانين من عمره بأنها فترة العظمة الأسطورية. .
وينتقل الطريحي للتوسع في إلقاء الضوء على الجانب الإبداعي لدى غوته، لافتا إلى أنه نظم الشعر منذ البدايات، على الطريقة الفرنسية والإيقاع اليوناني القديم، وكان شعره منسجماً مع روح العصر، فيه خفة ورقّة وعذوبة، فكتابه «ولهلم مايستر»، على سبيل المثال، لاقى رواجاً كبيراً، وعدّ بمصاف الثورة الفرنسية.
وانطبق هذا بصورة أوسع على روايته « القرابة المنتخبة »، حيث أن أشخاصها يمثلون رموزاً وبيادق في لعبة ثقافية تدعو إلى التفكير العميق، والمفارقة هنا أن كتابه «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي»، الذي احتوى على ما يثمّن من جواهر غوته، ظلت طبعته مكدّسة في المكتبات، دون أن تلقى أي رواج يذكر.
ولكن غوته أنهى القسم الثاني من « فاوست « بجهد وتعب شديدين، لأن قوته البدنية كانت في تدهور مستمر، وقد نشرت بعض المقاطع منه، وخاصة ملحمته « هيلين »، في جميع المجلات الفرنسية والروسية.
ولا شك أن الأنصع في مسيرته أنه ناضل منذ فجر حياته لتحطيم أحزاب الذين يريدون أن تموت الفطرة السليمة، وجاء ذلك في كتابه « ولهلم مايستر» : «إنهم لا يخافون شيئاً كخوفهم من الفطرة السليمة» .
وكان غوته منذ صباه يعنى بتاريخ الشرق وشعره . وهو ينتقل إلى عصر ما قبل الإسلام ، حيث يقع في مترجمات المستشرقين على الكنوز الموجودة في المعلقات، والمعلقات هي القصائد التي تكللت بالفوز في ذلك النزال الأدبي في أسواق الشعر بين فحول الشعراء العرب، والمعلقات تحدثه بأقوى بيان عن روح الإقدام والبسالة، وطلب المجد والتماس الفخار.
والتعطش إلى إدراك الثأر، فيرى مع المستشرقين من أهل زمانه أن معلقة « امرئ القيس» عذبة مرحة ، مشرقة المعنى رشيقة اللفظ، ذات طلاوة وافتتان، و«طرفة» عنده اقتحام وحيوية وتوثب . ومعلقة «زهير» رصينة، مترفة عن الزخرف، عفيفة المنطق، مهذبة مشذبة، جمّة الأمثال الراجحة والمواعظ الأدبية.
ومعلقة «لبيد» لطيفة الوقع، صادقة الحكاية، أنيقة، رقيقة، يشكو فيها الشاعر من جفاء حبيبته ليخلص من ذلك إلى تعداد مناقبه والإشادة بقبيلته. وتبرز معلقة «عنترة « مفاخرة متوعدة، بليغة الدلالة، جزلة العبارة بمحاسن الوصف والاستعارة، وينشد «عمرو بن كلثوم » في قوة ورفعة وفخامة. ويحدثه « الحارث بن حلزة « بحكمة ظاهرة الحصافة، وصاحبها عالي الهمة وافر الكرامة.
ويلفت المؤلف إلى أن الذي شغل «غوته« هو شخصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، واطلع على سيرته وحيّا فيه النبي العظيم، محطم الأصنام، الداعي إلى دين الفطرة والنبع الأصيل .
وقرأ «غوته« القرآن الكريم ، ويستشهد بآيات الكتاب العزيز «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون«.ويقول غوته : «إنما هو نبي مرسل لغرض واحد يقصد إليه بأبسط السبل، وهذا الغرض هو إعلان الملّة وجمع الشعوب حولها وانضوائهم إلى لوائها «.
وأراد غوته « تأليف قصة تمثيلية عن النبي محمد «صلى الله عليه وسلم «، وشرع فيها أيام شبابه، فنظم مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم وحده ليلاً في الخلاء تحت السماء الصافية، وقد اقتبس فيها آيات من سورة «إبراهيم»، وأدار حواراً بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين مرضعته حليمة السعدية. كما وضع نشيداً على صورة مقاطع يتناوب على إنشادها الإمام علي (كرم الله وجهه)، وفاطمة بنت الرسول . وهو تصوير رائع لقوة هذا الإنسان .
وإلى هذه القصص الرائعة ، يتملى «غوته« حكايات بيدبا التي وضعها للملك دبشليم على ألسنة الحيوان، إنه تارة يستمع إلى شاهنامة الفردوسي، وأخرى يشارك «نظامي« بعواطفه في متابعة مقادير الجنون وليلى وخسرو وشيرين.
ثم يلجأ إلى « سعدي الشيرازي ليقطف من حديقته الوارفة وقطوفها الدانية ، وحكمته نافعة وهادية ، وقد يذكر « جلال الدين الرومي» فيجد أن روحه لا تأنس إلى أرض الواقع ، فيلتمس حلّ هذه الألغاز، وأيضا غيره الكثيرين.
والعجيب أن «غوته« كلما تقدمت به السن وآذنت شمس حياته بالغروب، كان يزداد تطلعاً إلى الشرق، ولا غرو، فقد مضى هذا الرجل العامر بالحياة إلى نحبه وعيناه إلى النافذة، ظل يهتف بهذه الكلمة العليا : «المزيد من النور».

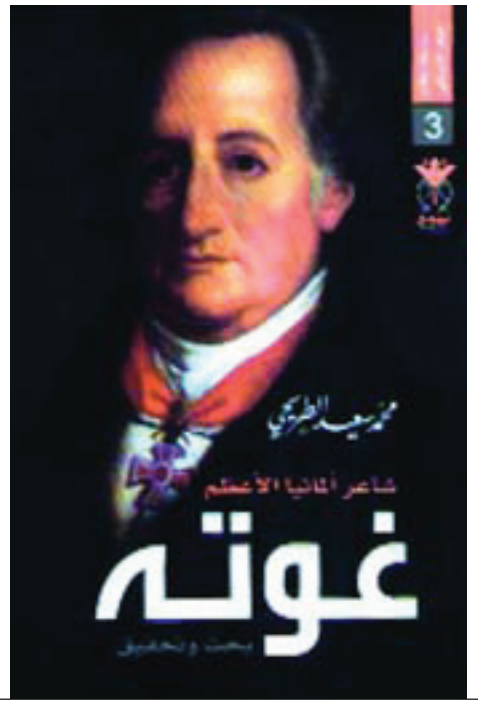

الكتاب: غوته شاعر ألمانيا الأعظم
تأليف : محمد سعيد الطريحي
الناشر: دار نينوى دمشق ٢٠١٠

خير جليس...

تتناول هذه الصفحات أحدث الإصدارات العربية والأجنبية يقدمها مازن لطيف.

ملحمة جلجامش والتوراة: تشابه يصل إلى حد التطابق بين النصين

لايضيف كتاب الباحث ناجح المعموري "ملحمة جلجامش والتوراة" جديداً في موضوعه، فزاوية النظر إلى التشابه الكبير والحرفي بين بعض قصص التوراة وأحداث ملحمة جلجامش، تتكئ في الكثير من الاستنتاجات التي توصل إليها المعموري على من سبقه من الباحثين وخاصة الباحث السوري فراس السواح في كتابه "مغامرة العقل الأولى" الصادر أوائل ثمانينيات القرن الماضي، برؤية أكثر شمولاً مما جاء في كتاب المعموري "ملحمة جلجامش والتوراة".

يبدأ المعموري كتابه بمقدمة نظرية يشرح فيها مصطلح التناص، الحديث نسبياً بالنسبة للنقد العربي، رغم أنه ليس غريباً عنه، فالكثير من النقاد العرب القدامى أمثال ابن قدامه وابن قتيبة والآمدي أشاروا إليه باسم التلاص، وتوسع العرب فيه وبمصطلحاته فألحقوا به كل من التأثر والاستيحاء والاستحضار والتوارد، وكل ما يربط فكرة ما أو صورة ما بنص آخر، لكن الشكلانيين الروس استخدموه في ثلاثينيات القرن الماضي، ليعرف فيما بعد في أوروبا في ستينيات القرن الماضي بعد تبنيه من قبل الناقدة الرومانية الأصل الفرنسية الثقافة جوليا كريستيفا، ومن ثم الألسنين والسيميائيين أمثال تودوروف وياكبسون وغولدمان وبارت، حتى هيمن على الدراسات النقدية الأدبية في الربع الأخير من القرن العشرين، ومصطلح التناص يعني أن النص الأدبي عموماً هو نص مكون من نصوص أخرى بقصد أو بغير قصد، وهو إما أن يكون كلياً من خلال استخدام حكاية بتفاصيلها وشخصياتها كما المسرحيات اليونانية باستفادتها من الملاحم، أو جزئياً من خلال استخدام فكرة أو صورة أو صفة ما، فالنص في النهاية نص مفتوح على خيارات لا نهائية من الرموز والتأويلات والمستويات، وبدورها تفتح هذه الخيارات علاقات جديدة لبناء شبكة تفاسير متعددة تتيحها البنية الجديدة للنص.

بعد المقدمة النظرية يستعرض الكاتب المعموري مقاطع من الأسطورة السومرية التي تكونت مابين ٢٥٠٠-٣٠٠٠ قبل الميلاد، لدى شعوب مابين الرافدين القديمة، وتروي قصة جلجامش ملك مدينة أوروك الظالم المستبد المكون من ثلثين بشريين وثلث من الآلهة، والذي شكاه شعبه للآلهة بسبب ظلمه، فخلقت الآلهة منافس له هو أنكيدو، مما فجّر صراعاً عنيفاً بينهما انتهى إلى صداقة حميمة، وانطلق الاثنان في مغامرات أزعجت الآلهة، فحكمت بالموت على المخلوق المنافس أنكيدو، وبعد أن رأى جلجامش موت صديقه، بدأ يبحث عن سر الحياة والموت إلى أن وجد شجرة الخلود، وبعد حصوله على النبات يعود به إلى أوروك، لكن وخلال استراحة له تسرق أفعى النبات وتأكله، الأمر الذي يحزن جلجامش ويجعله يقرر القيام بأعمال خالدة لصالح المدينة ليصنع خلوده بأعماله، ثم يقارن المؤلف المعموري مقاطع من الملحمة بمثيلاتها من أسفار التوراة ليثبت عملية التناص، أو التشابه الذي يصل حد التطابق ما بين النص الملحمي والتوراتي.

يفرد المؤلف في كتابه فصلاً لتأكيد تاريخية التأثير وزمن حدوثه، جازماً بأن الصياغة النهائية للتوراة حدثت نتيجة السبي البابلي الثاني في القرن السادس قبل الميلاد، عندما غزا نبوخذ نصر فلسطين وساق اليهود كأسرى حرب إلى بابل، حيث كان بين الأسرى نبيان من أنبياء بني إسرائيل هما حزقيال وعزرا، وتم بإشرافهما على الكهنة اليهود كتابة أسفار التوراة، ويعتمد المعموري في وصوله إلى هذا الرأي القاطع على استشهادات لعدد من الباحثين العرب في الفكر الأسطوري والديني أمثال فراس سواح وأحمد سوسة ونصر حامد أبو زيد وأحمد ديب شعبو، الذين يؤكدون جميعها استفادة التوراة من الحالة الثقافية والعقائدية السائدة في بلاد الرافدين.

وهذا التشابه الذي يرصده المعموري ابتداءً من قصة خلق آدم وحواء، ومن ثم الأفعى والمعرفة، وربطهما بقصة خلق أنكيدو، والبغي أو الكاهنة التي أعطت المعرفة لأنكيدو، ليكتشف حالته الوحشية وعريه، وكيف أعطته نصف ثوبها ليستر هذا العري، ثم يأتي إلى التناص الأهم وهو قصة الطوفان التوراتي، ومقابله الطوفان السومري والأكدي، ومن خلال نصوص متطابقة من كلا الملحمتين، يصل في النهاية إلى أن من أخرج التوراة بهذا الشكل لم يكن دوره أكثر من محرر أدبي لنصوص متفرقة أعاد صياغتها مع تغيير الأسماء والأمكنة، وأبقى على الأحداث لكنها أصبحت تخص شعبا آخر، وانتقلت من الدنيوي الأسطوري إلى العقائدي الديني، والموضوع يتكرر في قصة الخلق والتكوين والعماء الأولي، وقصة يوسف وغيرها من أحداث التوراة.

ويلحظ المعموري التشابه بين الملحمة والتوراة في موضوع المنظومة الرمزية للعدد سبعة ودورها في الفكر الرافدي عموماً، فلا تكاد تخلو أسطورة من الأساطير البابلية من العدد سبعة، كقصة خلق أنكيدو في سبعة أيام، والأنواع السبعة من الحيوانات التي تبكي أنكيدو، وأقداح الشراب سبعة، واتصال أنكيدو بالبغي لسبعة أيام، وطوابق السفينة البابلية السبعة، وأيام انهمار المطر سبعة، وتناص كل هذه الأفكار مع التوراة وإن كان يختلفان في عدد أيام الأمطار فقط إذ بقيت لأربعين ليلة في الطوفان التوراتي، ويرجع المعموي هذه المنظومة الرمزية إلى الجانب العقائدي والشعبي للفكر الرافدي التي ربما كان وراء أسباب قدسيتها للعدد سبعة اكتشاف البابليين لكواكب المجموعة الشمسية السبعة، وربطهم لكل يوم من أيام الأسبوع بأحد الكواكب، أو من أسطورة الخلق السومرية، والتي تقول أن الآلهة خلقوا سبعة ذكور، وسبعة إناث لتكون بداية للإنسان. كما يشير المعموري إلى الأحلام في منظومة الفكر الأسطوري الرافدي وتماثلها مع الأحلام للشخصيات التوراتية خاصة أحلام يوسف، وهي أحلام مكررة في الحالتين، رابطاً بين تأثر الملاحم عموما بآلية الحلم كوسيلة معرفة ووحي، وسهولة انتقالها إلى الجانب العقائدي في الفكر التوراتي، لتصبح ميزة شخصية ليوسف أشبه بقراءة الأبراج، ومقدمة لما سيصبح عليه لاحقا من مكانة كبيرة، وخاصة رحلة يوسف الإجبارية إلى مصر، التي حولته من راع سليل منظومة زراعية إلى رجل مديني ورجل سلطة، هذا إضافة إلى التماثل الشكلي ما بين يوسف التوراتي وجلجامش السومري فكلاهما كان جميل المنظر، ولذلك كان من الطبيعي أن تفتن بجماله وقوته الفتيات الحسناوات.

أهم مايؤخذ على كتاب ناجح المعموري "ملحمة جلجامش والتوراة" هو عدم تجاوزه لما كتب في مجاله من عشرات الأبحاث والكتب في التاريخ والعقائد وعلم الآثار وعلم النفس وعلم الاجتماع، ولذلك جاء بحثه قاصراً عن إعطاء قراءة جديدة ومبتكرة، خارج إثبات التأثر والتأثير للفكر الملحمي الأسطوري الرافدي على مجمل البنية العقائدية والأدبية والفنية للتوراة، مع التأكيد على اندماج كل هذه المفاهيم ضمن بنية نصية واحدة، تحيل إلى رموز كثيرة، لم يستطع المؤلف الإحاطة بها كليا، رغم أنه كان بإمكانه الاستفادة من دراسات علم النفس فيما يتعلق بموضوعي رمزية العدد سبعة والأحلام، خاصة أن مقدمة الكتاب النظرية عن التناص، والعلاقات الجديدة والمتجددة في النص المنتج مع النص الأصل، أوحت لقارئها بعمل كبير قادم في ظل وفر مادة مرجعية هائلة أكثر غنى وأكثر إقناعاً، ولذلك لم يرق الكتاب إلى مستوى البحث الكلي والعميق في مجمل التأثر والتأثير للنص الملحمي إن كان أسطورة جلجامش السومرية أو الأسطورة الأكدية، في النص التوراتي.

الكتاب: ملحمة جلجامش والتوراة
المؤلف: ناجح المعموري
الناشر: دار المدى

«العالم متمرداً»: خيال الأدب يصنع الاكتشاف

إشكاليات كثيرة يثيرها كتاب «العالم متمردًا» من تأليف فريمان دايسون، الصادر حديثاً عن «الدّار المصرية – اللبنانية» (القاهرة) ومشروع «كلمة» (أبو ظبي). إذ لا يغرق في تفصيلات علمية تهم العلماء والباحثين، بل يهتم بالجانب الإنساني في العلم، والمشكلات التي أرّقت بعض العلماء، وحياة هؤلاء العلماء وتأثيرهم في محيطهم الاجتماعي، مُعتبراً أن الخيال أساس الاكتشاف العلمي. أما الإشكالية الأهم التي يثيرها هذا الكتاب، فهي العلاقة بين العلم والأدب. إذ يبدو العلماء غارقين في عالمهم وتجاربهم ومشكلاتهم التقنية، لا يعرفون ما يجري على صعيد الأدب. وكذلك يفعل الأدباء الشيء ذاته، وكلاهما يحمل فكرة خاطئة عن الآخر. ويرى الأديب العالم جاف المشاعر ومنزوع العاطفة. وينظر العالم إلى الأديب على أنه كائن عاطفي غارق في مشاعر خَائبة ورومانسية ومثالية، وأنه يهرب من واقعه بالإغراق في الخيال ولا يقدّم شيئاً مفيداً للبشرية غير التسلية. تبدو هذه مشكلة بلا حل. ويحاول الكتاب أن يثبت العكس، مبيّناً أن العلم استفاد من خيال الأدباء، والعلماء ينجزون أكثر إذا قرأوا الأدب.

كما يرى ان العكس صحيح أيضاً، إذ يصبح الأدباء أكثر خبرة بالحياة وبالنفس البشرية التي يزعمون أنهم يفهمونها، عندما يعرفون طرفاً من العلم.

إشكالية في كتابة العلم

يتضمّن الكتاب إشكالية ثالثة تتصل بالكتابة عن العلم في الصحف والمجلات. إذ نُشِرَت غالبية فصول هذا الكتاب في مجلة متخصصة في عروض الكتب، لكنك حين تقرأها لا تشعر بالملل، إذ قدمت هذه الفصول بطريقة جذّابة تناسب ذوق المتخصص والقارئ العام.

وتنقسم المقالات التي يضمها الكتاب إلى أربعة أقسام وفقًا لموضوعها، مع الاحتفاظ بترتيب زمني لهذه المواضيع.

ويتناول القسم الأول قضايا سياسة العلم والتكنولوجيا. ويهتم القسم الثاني بمشاكل الحرب والسلام، والثالث بتاريخ العلم. ويضم القسم الرابع تأملات شخصية وفلسفية. وهناك ثلاثة فصول مأخوذة من كتاب سابق للمؤلف عنوانه: «الأسلحة والأمل». والطريف ان ذلك الكتاب لقي إهمالاً لأنه صدر قبيل انهيار الاتحاد السوفياتي. وقد استوحى الكاتب عنوان مؤلفه الحاضر من هذه الفصول المأخوذة، فسمّاه: «العالم متمرداً».

وإذ يصعب تلخيص كتاب بهذا الحجم (٦٠٠ صفحة)، فإن الإشارة إلى بعض فصوله تُظهر مدى أهميته للقارئ العربي. ويتوزّع الكتاب على ٤ أقسام كبرى تحمل فصولها عناوين مثل: قوة العقل، العالم واللحم والشيطان، هذا الجانب من الحب الأعمى، والدين من الخارج. ويكتسب الكتاب أهميته من أن مؤلفه عمل لفترة مستشاراً علمياً لحكومة الولايات المتحدة، كما أنه عالم فيزياء وعلى دراية عميقة بتاريخ العلم، وبالجدل العلمي الذي يدور حالياً حول العلم والأخلاق والإيمان. وكذلك يعتبر دايسون أحد كبار المتنبئين بمستقبل المناخ والهندسة الوراثية وغزو الفضاء وسكناه. ولا يخلو الكتاب أيضاً من تفكير فلسفي في قضايا مثل: الحدّ من التسلّح، والمبادئ النووية، والحفاظ على البيئة، والعلاقة بين العلم والدين.

لعنة النفط

عالم من الخفايا والاسرار

في الروايـة القصـيرة "اللؤلـؤة" التي كتبها الروائـي الأمريكي جون شتاينبك في عـام ١٩٤٧، يصطاد الغطاس المكسيكي الفقير كينـو لؤلـؤة هائلة الحجم من قـاع روافد أحـد الخلجان. ويحلم كينـو بالـثروة الضخمة التـي ستجلبها له هذه اللؤلـؤة ، و التي ستنقـذه من الفقر المدقع الذي يعيشـ فيه هو وأسرته. ولكن هذه اللؤلـؤة تدفـع جيرانه من القرويـين إلى التخطيـط لسرقتها. و كمـا كتب شتاينبك في روايته، فقـد كان التأثير الذي أحدثته هذه اللؤلـؤة مثـل التأثير الذي يحدثـه السرطان في جسـد المريض. فهـي خلقت "نوعا من الشـر الأسود الخالـص ....الذي حفز غدد السـم في البلـدة لكي تبـدأ في تصنيع السمـوم، بحيث تضخمت البلـدة الصغيرة و انتفخت، مثل جسـد المريض، تحت تأثير هذه السموم". وتنتهي القصة بإعادة كينو اللؤلؤة إلى مكانها في قاع الخليج، خوفًا من الدمار الذي سيلحقه به هو وأسرته.

و لكن ليس بإمكاننا، للأسف، أن نفعل الشيء نفسه مع اقتصادنا الهيدروكربـوني. فكمـا يذكر بيـتر ماس في كتابـه الأخير، الذي يتحـدث عن الأضـرار البيئية التـي يسببها النفـط، فإنه لا يمكن القضـاء علـى التأثيـر الـذي تحدثـه الجيولوجيـا. و يستعرض كتـاب "عالم من الخام: الشق العنيف للنفـط" الدمار الذي أحدثه أحـد مصادر الطاقة، الذي يعد من بعض النواحي مميتا بقدر ما هـو مفيد. فمثلما كانت لؤلـؤة كينو مصدرا لشقائـه، كذلك يكون النفـط. وكثيـرًا مـا يستشهـد الكاتـب بالقانـون الاستثنائـي الـذي سنته النرويـج لحمايتها مـن لعنـة النفـط. فهـو يفسـد المجتمعـات البدائيـة التـي يتم اكتشافـه في أراضيهـا، مخلفا وراءه الصـراع المسلـح، والفسـاد والدمـار البيئي على أعلـى المستويـات،. و يقـع الكتـاب في ٢٢٥ صفحـة فقط، يوضـح ماس مـن خلالها كيف يقضى لوردات النفط الأثرياء، بمساعـدة الحكومـات الغربية في أغلـب الأحيان، على الحياة الرعويـة البسيطـة و يدمرون النظـام البيئـي الحساس. فالنفط "لا ينظـر إلية فقط على أنه كنز يجب سرقته، وإنما على أنـه أيضا يمكـن أن يصبح تعويذة سياسية تحمي اللصوص من الإبعاد أو العقاب".

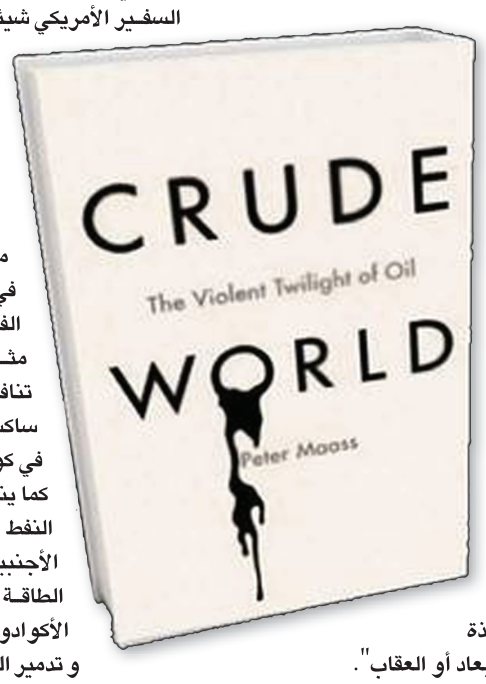

وبالرغم من أنه ليس هناك نقص في الكتب حول صناعة النفط – حيث أدى نشر كتاب "الجائزة" لدانييل يرغين في عام ١٩٩١ إلى صـدور عدد من الكتـب في هذا المجال – فإن ماس يسرد حكايته بأسلـوب متميز يتسم بسعة الأفق وخفـة الظل والحيوية. ومثل شعلـة الغاز التي تخرج من حفار النفـط، يلقى ماس الضوء على المساحة الهيدروكربونية الشاسعة التي تمتد من حقول الموت في غينيـا الاستوائيـة والعراق إلى مناطق الكـوارث البيئية في دلتا النيجـر ومنطقة أورينتي في الإكوادور. ودورة استغلال النفط، كمـا يقـول ماس في كتابه، هـي دورة واحـدة في جميـع أنحاء العـالم، باستثنـاء النرويج. حيـث يتم اكتشاف حقـل بترول في دولـة نائية، ثـم يبدأ لوردات الطاقة في العـالم في الالتفاف حول أصحـاب النفوذ في تلك الدول ، ثم تعقد شركات النفط صفقة مع النظام، تحصل بموجبها على حقوق الحفر مقابل حصول النظام على أموال مشبوهة. ومن ثم يتم ضخ احتياطات النفط إلى مكان بعيـد، وانتهاك حرمة المياه والأراضي البكر، و سحق شعوب تلك الـدول، لا سيما أولئـك الذين يشكلون عائقًا أمـام إبرام مثل هذه الصفقات.

وهـذا هو ما حـدث باختصار لغينيـا الاستوائيـة الغنية بالنفط، وهـي الدولة الصغيـرة الواقعة في غرب إفريقيـا و التي يسيطر عليهـا الدكتاتـور تيودورو أوبيانغ، الذي تمكـن من القضاء على معارضيـه و دفع السفير الأمريكـي إلى الفرار حفاظًا على حياته، وتمكـن مـن تحـويل راتبـه الـذي يبلـغ ٦٠،٠٠٠ دولار إلى ثروة قيمتهـا ٧٠٠ مليـون دولار. وقـد نجـح أوبيانـغ في تكوين هذه الثروة، كما يذكر ماس في كتابه، من خلال مقايضته الجزء الأكبر من أرباح احتياطات الطاقـة في بلاده مع شركات النفط العملاقة مثـل اكسون موبيل و ماراثون أويل وهيس مقابل حصوله على ودائـع نقديـة منتظمة في مصـرف ريجز في واشنطـن. و بعدما كشف تقريـر مجلس الشيوخ الأمريكي عن حجم هذه المدفوعات، عقـد النواب جلسـة استمـاع، وتم استدعاء كبـار المسؤولين في مصـرف ريجز وشركات النفـط للإدلاء بشهادتهم. وقـد أفاد أحد المسؤولـين بشركـة اكسون يدعى أندرو سويجـر، بأن العمولات التـي كان يتـم دفعهـا لأوبيانغ كانـت كلها جـزءًا مـن التزاماتهم التجارية لجعل غينيا الاستوائية "مكانًا أفضل".

والمثير للدهشـة، أن سرقة المـوارد الطبيعية لغينيـا الاستوائية مازالـت مستمـرة. (في الأسبـوع الماضـي فقط، نشـرت صحيفة نيويـورك تايمز تقريـرًا إخباريًا في صفحتهـا الأولى عن المنازل والسيـارات والـزوارق السريعـة و الطائرات الخاصـة العديدة التـي يمتلكها نجل أوبيانغ في أمريكا.). وعلق ماس على ذلك في كتابـه قائلا: "كلما زاد حجم ما ينهبـه أوبيانغ من ثروات الشعب الغينيـي، توطـدت علاقتـه بواشنطن. كمـا لم يعد تهديـده بقتل السفـير الأمريكي شيئا مهمًا....فمن أهـم الخصائص السحرية للنفط هـي أنه يمحو الذكريـات التي قد تعرقل المصالح المشتركة".

وعنوان كل فصل من فصول هذه القصة يتألـف مـن كلمة واحدة مثـل "النهب" و "الفسـاد" و "التلوث"، على غرار خطايا كاردينـال الكنيسة الكاثوليكية. كما يوزع ماس اللـوم بحكمة علـى كل مـن شاركوا في هـذه القصـة المليئـة بالنذالـة والإهمال الفاضـح. فهـو ينتقد بشـدة قـادة الصناعة مثـل إكسـون و بريتيش بتروليـوم، اللتين تنافسان شـركات وول ستريت مثل جولدمان ساكـس وشركة أيه أي جـي الأمريكية للتأمين في كونهمـا أمثلـة حية علـى جشـع الشركات. كما ينتقـد أيضًا بنفس القدر مـن الشدة شركات النفط المملوكة للدولة التي أخذت مكان الشركات الأجنبية عندما أمم الزعمـاء الشعبيون قطاعات الطاقـة. فمثـلا، تعمـل شركـة بترواكـوادور في الأكوادورعلى نهب و تدمير البيئة كما كانت تفعل سابقاتها من الشركات الأجنبية.

كمـا يقـدم الكاتب رسمـا تفصيـلا لشخصية رجـل النفط جيمس جيفن، الصـراف السابق للدكتاتور، نور سلطـان نزار باييف، و الـذي روى للكاتب بفخر كيف تم استيحاء شخصية أحد الأشرار في فيلم "سريانا" من شخصيته.

ويسـرد ماس كل شـيء في كتابه بأسلوب شائق يجعله لا يختلف في شـيء عن القصـة المصورة، بداية من الأوغـاد ذوي الجاذبية الخاصة ورؤساء الدول الطغاة وانتهاءً بملوك القبائل النيجيرية الذيـن يشنون الحـروب المتوسطة ضـد حكومات النفط الجشعة. كمـا أنه يشـير إلى أن الشخصيات التي يقابلهـا في البلدان التي ازدهرت بفضل النفط هي شخصيات تصلح لأن تكون شخصيات في روايـة من روايـات الروائـي الأمريكي غراهـام غرين. ولكن كتاب "عالم من النفـط" يشبه أكثر مسرحية "قلب الظلام"، وهي المسرحيـة الأخلاقيـة التي كتبهـا جوزيف كونراد عـن الوحشية الكامنـة في جميـع البشـر. حيـث يجعلنـا ماس نتعـرف بشكل حميم علـى الشر الذي يرتكبه الإنسان مـن أجل تمويل الاقتصاد الهيدروكربوني، والذي يزيد من نفورنا منه رعايتنا له، من خلال رحلته في أعماق أقل مناطق العالم جاذبية، مثل أورينتي المدنسة، و أورو سناجامـا السامـة في دلتا النيجر، وشـارع ك بواشنطن الذي تنتشر به جماعات الضغط.

آفـــاق

اسم المؤلف

سعد محمد رحيم

أستعيد تلك الرعشة الروحية التي تولّتني وأنا أتناول للمرة الأولى كتابين لنجيب محفوظ.. كان ذلك في صيف عام ١٩٧٣. وكنت قرأت، قبل ذلك، أكثر من عشرين كتاباً لتوفيق الحكيم، وأقل من ذلك لطه حسين، وأكثر من ذلك بكثير روايات بوليسية.. كان إعجاب أحد أصدقاء مراهقتي بنجيب محفوظ هائلاً، ولم يكن قرأ له سوى رواية (زقاق المدق). وظل يردد على مسامعي؛ اقرأ نجيب محفوظ، اقرأ نجيب محفوظ. وفي يوم، وهو مقدم على سفرة مع عائلته إلى بغداد أعطيته نصف دينار، هو مجموع مدخراتي، وقلت له؛ اجلب لي كتباً لنجيب محفوظ. وبعد أيام ناولني كتابين اشتراهما من بائع كتب مستعملة في الباب الشرقي.. فجأة سرى فيّ تيار من الغبطة وأنا أمسك بـ (ميرامار، والسمان والخريف). قرأت السمان والخريف مرة واحدة، وقرأت ميرامار ثلاث مرات. ومنذئذ بقي اسم نجيب محفوظ يمارس سحراً طاغياً عليّ.

وكنت جندياً في جبهة شرق البصرة صيف عام ١٩٨٢ أقدّم نفسي لزملائي، على استحياء، مشروع قاص وروائي، حين سألني أحد أولئك؛ هل قرأت لمحمد خضير؟. قلت؛ لا.. قال؛ كيف تريد أن تصبح قاصاً وأنت لم تقرأ لمحمد خضير؟. وجاءني بعد رجوعه من إجازته التالية بكتاب (المملكة السوداء) التهمته في يوم واحد، وأعدت قراءته بعد أسبوع بتأنٍ وروية. وأيضاً، منذ ذلك الوقت، لم أتخلص من الجاذبية التي يمارسها اسم محمد خضير على غلاف أيّ كتاب..

إغراءات الكتاب، أي كتاب، لاسيما الذي يتضمن نصاً سردياً، لا تحصى. أحدها اسم المؤلف الذي يشكّل سلطة، عند القارئ، تطغي، أحياناً، على سلطة نصه السردي. هنا يغدو اسم المؤلف جزءاً من كينونة السرد ومرجعيته.. الاسم الذي يكون خلاصة خبرة سابقة لي، أنا القارئ، معه؛ (أن أكون قرأت له، أو قرأت عنه، أو حدثني أحد ما عن منجزه الإبداعي). إن وقوع النظر على غلاف كتاب سردي يحمل اسماً معروفاً لي يثير لديّ، حالاً، سلسلة من الانطباعات السريعة التي هي نتاج تلك الخبرة. يحفزني الاسم ويغويني إذا سبق وأن قرأت له عملاً مميزاً. أما العودة لقراءة مؤلف ثانية، بعد تجربة قراءة محبطة أولى، فلا شك، أمر عسير. لكن نصاً سيئاً لكاتب جيد يجعلني، أنا القارئ، في حيرة من أمري، وأمام تساؤلات من قبيل؛ أتراني لم أفهم ما كتب؟ هل يجب أن أعيد القراءة لاكتشف ما فاتني في المرة الأولى؟!.

لمّا أكون قرأت لخوزيه ساراماغو، مثلاً، روايات (الإنجيل يكتبه المسيح، كل الأسماء، العمى) فإن رواية جديدة موقّعة باسمه لابد أن تفرض عليّ انعكاسات وتأثيرات وانطباعات قراءتي لتلكم الروايات.. إن الاسم، في هذه الحالة، يرسم لي أفقَ توقع محدد، يختلف عن أفق توقعي فيما إذا كان اسم المؤلف مجهولاً لديّ. أو لم يسبق لي قراءة أي عمل من أعماله.

تكون السلطة المرجعية لاسم المؤلف في النص السياسي أقوى، لأنني حينئذ سأستدعي حزمة من المعطيات التي تخص المؤلف، إلى جانب ما ذكرنا؛ (تحيّزاته، منهجه في البحث، مصادر معلوماته، مدى صلته بمراكز القرار، المؤسسات التي تتبناه، الخ). بالمقابل يهدّم استحضار اسم المؤلف في أثناء القراءة شيئاً من جرف الموضوعية في الحكم النقدي، مهما حاولنا تحاشي ذلك.

يقيّدنا اسم المؤلف المعروف لنا جيداً بدلاً من أن يحررنا. فذاك الاسم يبث إشعاعاته في أثناء القراءة. ونحن مهما حاولنا الالتزام بمقتضيات تفكيك النص من داخله والخضوع لسلطة النص وحدها فإن اسم المؤلف، ومعرفتنا عنها، يباغتنا من زوايا غير متوقعة، ويضفي ظلاله على ما نقرأ. فإن نفكر أن كاتب النص القصصي، في سبيل المثال، هو تشيخوف غير أن نفكر أن كاتب النص هو يوسف إدريس. إن تاريخاً بكامله يندفع في موجات محرِّكة لطبيعة تلقينا، شئنا أو أبينا. فبعد أن نكون عارفين لاسم المؤلف، لاسيما إذا كنا قراءً اعتياديين، لا نقاداً نتبنى المنهج البنيوي، يغدو اصطلاح (موت المؤلف) أو (مجهولية المؤلف) بلا معنى، أو يكاد.

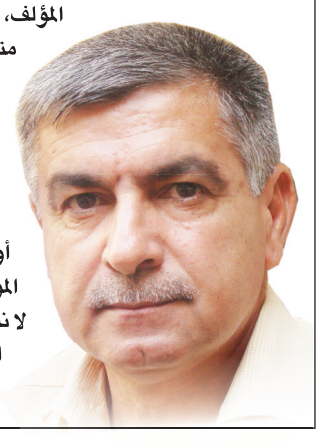

إصدارات دار المدى للثقافة والنشر

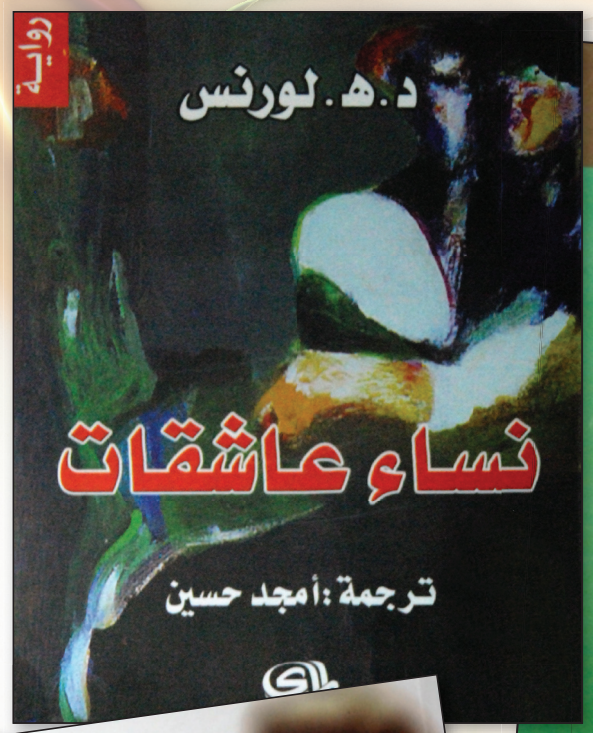

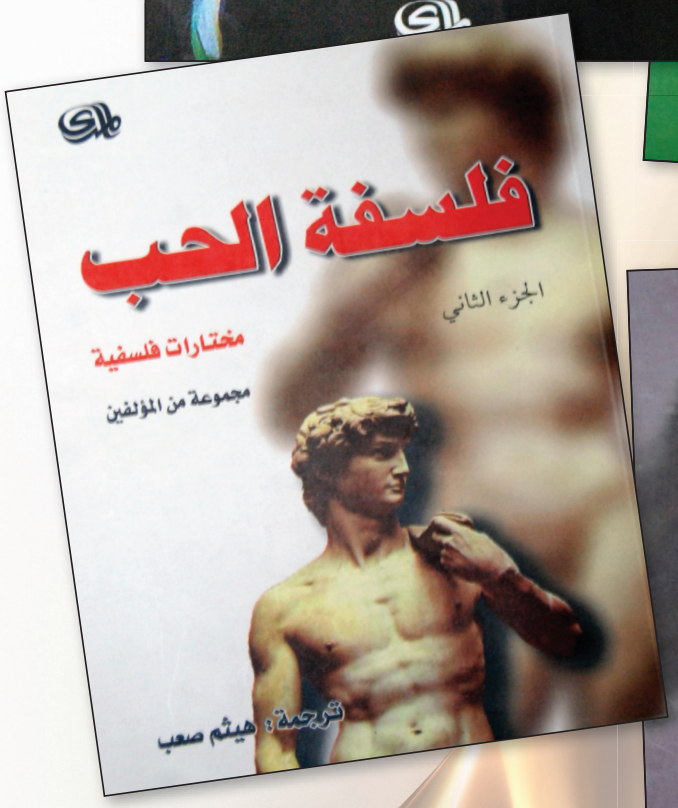

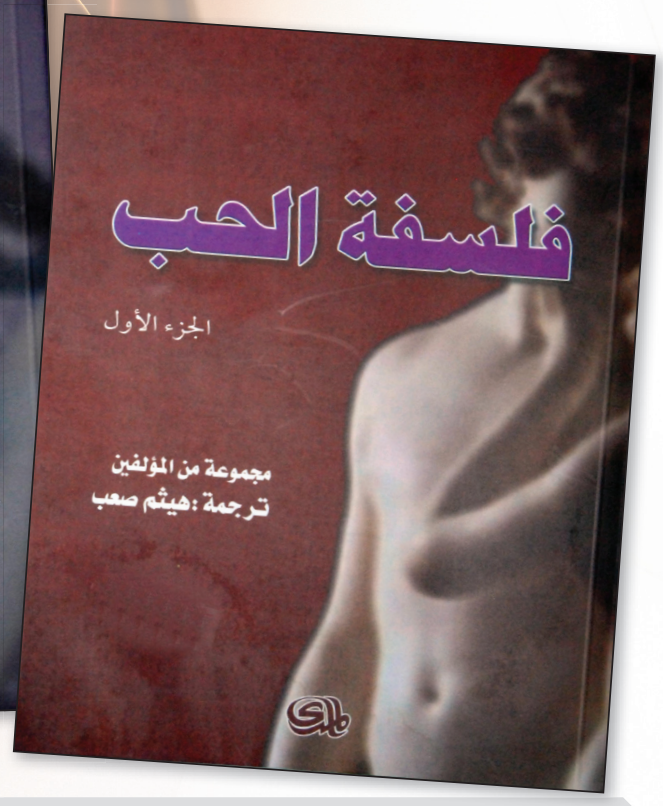

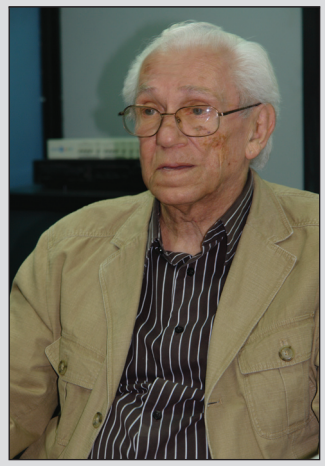

هذا الكتاب

في هذه الموسوعة حاولت ان اسجل تاريخ الصحافة العراقية بصورة موسعة شاملة وبتجريد تام تقتضيه مصلحة الامانة في سرد وقائع الاحداث التاريخية لتكون خير مصدر للاجيال المقبلة في دراسة تاريخنا السياسي من خلال دراسة تاريخ صحافتنا الزاخر بالمواقف والمعارك والبطولات لشعبنا ورجالنا وقادتنا وحملة الاقلام الحرة. وفي محاولتي هذه اطمع في تزويد المكتبة العراقية والعربية بأهم مصدر من مصادر الصحافة العراقية مستندا الى مصادر اولئك الاوائل الذين حاولوا تسجيل هذا التاريخ بصدق وامانة معتمدا على مجلدات الصحافة نفسها ومقابلات مع من تبقى من الرعيل الاول على قيد الحياة واولئك الذين عاصروا وشاركوا في دفع عجلة الصحافة الى الامام.

د . فائق بطي

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير | علي حسين - علاء المفرجي

الاخراج الفني | مصطفى جعفر

التصحيح اللغوي | يونس الخطيب